جامعة الإسكندرية

كليه الآداب

قسم التاريخ والحضارة المصرية والإسلامية

تعريب الأندلس
(مظاهره – وآثاره)

مقدمه/ هبه محمد حافظ

الفهرس

تعريب الأندلس (مظاهره وآثاره)	
الفهرس	٢
تمهيد	٤
أولاً: عناصر السكان في الأندلس بعد الفتح الإسلامي	٤
١. العرب	٤
٢. البربر	٥
٣. اليهود	٦
٤. السكان الأصليون	٧
٥. الصقالبة	٧
٦. حال اللغة بين عناصر السكان في الأندلس	٩
ثانيا: مراحل الصراع بين اللغتين العربية واللاتينية	١٠
١ /١ الحركة اللغوية في الأندلس في القرن الثالث الهجري (مرحلة الندية)	١٠
٢/١ رحلة طلاب العلم الأندلسيين إلي المشرق	١٢
٣/١ كتب مشرقية دخلت إلي الأندلس	١٢
٤/١ النشاط الشفوي والتأليفي للغة العربية في الأندلس	١٣
٢ ـ الحركة اللغوية في الأندلس في القرن الرابع الهجري (مرحلة الغلبة)	١٣
١/٢ عناية الأندلسيين بالكتب وإنشاء المكتبات	١٤
٢/٢ جهود علماء الأندلس في نهضة العلوم اللغوية في عهد المنصور بن أبي	١٥

عامر	
٣/٢ رحلة العلماء الأندلسيين إلي المشرق	١٥
٤/٢ دور المؤدبين في القرن الرابع الهجري	١٦
٥/٢ ظهور الدارس اللغوي المتخصص	١٦
٦/٢ المناظرات اللغوية	١٧
٣ ـ الحركة اللغوية في الأندلس في القرن الخامس الهجري (مرحلة التفوق)	١٧
١/٣ نظرة إلي الحالة السياسية في القرن الخامس الهجري	١٧
٢/٣ العوامل التي أثرت علي ازدهار الحركة اللغوية في الأندلس في القرن الخامس الهجري	١٧
٣/٣ علماء اللغة في بلاط أمراء الطوائف	٢٠
٤/٣ المكتبات في القرن الخامس الهجري	٢٢
٥/٣ هجرة العلماء إلي الأندلس في القرن الخامس الهجري	٢٣
٦/٣ دور المؤدب في القرن الخامس الهجري	٢٥
٧/٣ التأليف اللغوي في القرن الخامس الهجري	٢٥
٨/٣ التأثير والتأثر الناتج عن التعريب	٢٦
الخاتمة	٢٨
الخريطة	٢٩
المصادر والمراجع	٣٠

تمهيد

كان سكان إسبانيا يختلفون عن القوط من حيث المذهب واللغة، فحين كان القوط يؤمنون بالمسيحية علي المذهب الأريوسي كان الإسبان يؤمنون بها علي المذهب الكاثوليكي، ولغوياً كانت لغة القوط الرسمية هي اللغة الجرمانية، بينما أهل الأندلس كانوا يتكلمون لغة لاتينية عامة أو رومانسية. ولما أحس القوط بضرورة التقرب من الإسبان تحولوا إلي المسيحية الكاثوليكية في عهد ريكاريدو ٥٨٧ م وبعدها اعتبرت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية في البلاد ولغة الثقافة، في حين كانت اللغة الرومانسية هي التي يتحدث بها العامة، ولقد ادخلوا عليها بعض الكلمات الجرمانية. ولقد وُجدت ثقافة في المجتمع الإسباني كان منبعها أشبيليه، وكانت موجودة في الأديرة والمدارس الدينية، وكان من أهم علماء أشبيليه هو أيزدور الأشبيلي ٦٣٦ م (١٥ هـ) الذي نقل الفكر اليوناني والروماني إلي القرون الوسطي ومن أهم آثاره كتاب الاشتقاق اللغوي، وبهذا نري أن إسبانيا لم تكن دون معالم ثقافية عند دخول العرب إليها، وإذا أردنا أن نراقب هذه المظاهر عن كثب فلن نجد أفضل من طبقة المستعربين الذين حافظوا علي لغتهم الرومانسية التي اطلق عليها العرب "عجمية أهل الأندلس " (مطلق ١٩٦٥، ص ٣-٤-٥) .

أولاً: عناصر السكان في الأندلس بعد الفتح الإسلامي

١. العرب

بعد الفتح العربي سكن الأندلس أجناس مختلفة إلى جانب أهل شبه الجزيرة الأصليين، فنري أن العرب كانوا أول من أستوطن الأندلس بعد الفتح ٩٢هـ /٧١١ م ،ونستطيع القول بصفة عامة أن العرب قد سكنوا علي خطوط الفتح الأولي فنري بداية انتشار منازلهم من الجزيرة الخضراء في المنطقة بين جنوب نهر شنيل ومنطقة حوض الوادي الكبير، وتكثر في إقليم أشبيليه علي طول الوادي الكبير وفروعه، ونستنبط من هذا أن العرب انتشروا بطول الطريق الذي سلكه موسي بن نصير في حملته علي الأندلس، فتزيد عند أونبة [١] Huelva (ياقوت الحموى ، ١٩٧٧، ص ٢٨٣) ولبلة وباجة، وتستمر حتي بطليوس وطليطلة ووادي الحجارة وقلعة أيوب ودورقة وحوض أبرة الأوسط حول سرقسطة في منطقة واسعة وتشمل حوض نهير جلق Gallego ونهير الحمة .Rio Alhama ومن أحواز قرطبة يمتد خط آخر عربي علي طول طريق طارق بن زياد (مؤنس،٢٠٠٢،ص٤١٣) .

فيقول المقري في كتابه واصفاً نزول العرب في الأندلس، فأقر بوجود عرب عدنانيين من بنى هاشم من قريش ومنهم بنو حمود ملوك الأندلس، أما بنو أمية وهم خلفاء الأندلس ويعرفون بالقرشيين، أما بنو زهرة فأنهم في إشبيلية أعيان متميزون، و المخزوميون ومنهم الشاعر أبو بكر المخزومي من أهل حصن المدور، ومنهم الوزير الفاضل في النظم والنثر أبو بكر ابن زيدون ووالده أبو الوليد ابن زيدون وزير المعتضد بن عباد، وأيضا كان يوجد – فيما يعرف بقريش الظواهر– فيما يعرف بالفهريين، وكانوا ذوي نفوذ عظيم ومنهم عقبة بن نافع الفهري، ومنهم أيضا يوسف الفهري الذي دخل عليه عبد الرحمن الداخل وغلبه وأخذ ملكه، أما قبيلة العدنانية فكان منها عدد كبير ينتسبون إلي العموم، ومنهم من ينتسب إلي سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس كعبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه صاحب الإمام مالك والقاضي أبو حفص بن عمر قاضي قرطبة (المقرى ، ١٩٦٨ ، ص ٢٩٠-٢٩١)، أما قبيلة ربيعة بن نزار وقيل: إن هناك إقليم مشهور

[١] أونبة Huelva: تقع جنوب غرب الأندلس وهي من مدن جبل العيون بالأندلس وهي مدينة ممتنعة بين جبال ضيقة المسالك، وشرق هذه المدينة كنيسة كبيرة معظمة عندهم يزعمون أن أحد الحواريين بها، وهذه المدينة برية بحرية بينها وبين البحر نحو ميل.

باسمهم في منطقة وادي أش Guadix[1] (الحميرى، ١٩٨٤، ص٦٠٤). واختلف في القحطانية وهم معروفون باليمانية وكثيراً ما تقع بينهم وبين العدنانية والمضرية الحروب بالأندلس. (المقرى، ١٩٦٨،ص٢٩٣)

وبذلك نري أن المنازل التي نزلها العرب في الأندلس كانت من أخصب الأماكن وأطيبها، فلقد نزلوا في السهول وحول الأنهار وخاصة سهول نهر الوادي الكبير مثل فحص وإشبيلية وقرطبة وإستجة، وفي الفحوص الخضراء لوادي شنيل ووادي تاجة ووادي إبرة وفي مروج شرق الأندلس وفي السواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية، ففي طليطلة استقر الوقشيون الكنانيون والأنصار، وفي إشبيليه أستقر بنو زهرة وبنو قيس بن علان وبنو عباد والباجي واللخميين، وبنو هوازن بن عكرمة، والبلويين من قضاعة، والحضرميين من حضرموت، وفي أريولة بنو هزيل بن مدركة، وفي بلنسية بنو بكر بن هوازن، وفي وادي أش بنو أسد أبن ربيعة، وفي غرناطة بنو أسد بن ربيعة، وبنو عبد السلام من خولان، وبنو أضحي من همدان، وبنو جودي من هوازن، وبنو القليعي من أزد، وبنو الأحمر من سعد بن عبادة، وفي قرطبة بنو حمديس من تغلب، وبنو سراج من مذحج، وبنو الأصبح من كهلان، وبنو جهور من تغلب، والحضرميون، وفي أونبة ، وشلطيش بنو بكر بن وائل، وفي سرقسطة بنو عذرة وبنو الخزرج، وفي شقورة Sagura[2] (الأدريسى ، ٢٠٠٢، ص ٥٦١-٥٦٢) وبنو غافق. وبهذا نري أن العرب كانوا يعيشون في الأندلس في إقطاعيات كبيرة ويوكلون لزراعتها الفلاحين الإسبان أو المولدين من العامة، وكانوا يتمتعون بحياة الترف والنعيم مثلما كان يعيشون السادة من الروم والقوط (سالم ،١٩٦٩،ص١٢١-١٢٢).

وكان من دواعي تدفق العرب إلي الأندلس ما سمعه الناس عن رخائه وكثرة خيراته التي وصفها موسي بن نصير للخليفة سليمان بن عبد الملك بعد عودته من الأندلس، ورغبتهم في أن ينهلوا من خيراتها فيقول موسي بن نصير : " وما هذا فيما أفاء الله علي، لقد كانت الألف شاه تباع بعشرة دراهم، كل مائة بدرهم ،ولقد كان الناس يمرون بالبقر والغنم فلا يلتفتون إليها، ولقد رأيتُ بالزود من الأبل بدينار (ابن عذارى، ١٩٨٠، ص ٢٢)ومع سقوط الدولة الأموية بالمشرق وتتبع العباسيين لأمراء الدولة الأموية ومواليها في جميع البلاد التابعة للدولة العباسية، ولقد أستمر تيار الهجرة العربية إلي الأندلس طيلة العصر الأموي بدرجات متفاوتة، ويؤكد ذلك كتب التراجم والطبقات والأنساب (سلامة،١٩٩٧،ص٣٨) .

ولقد ذكرنا أن العرب كانوا يدخلون الأندلس رجالاً فقط دون نسائهم، ثم يتخذون نساءً من أهل البلاد، وبهذا يكون الجيل الثاني من العرب لا يعتبرون عرب من ناحية الدم، ولكن كانوا يعتبرون من المولدين، بل أصبح البيت الأموي أيضاً من المولدين، وعلي الرغم من هذا فكانوا عرب بالإحساس والدين واللغة، وبهذا فلقد اختلطت لغة العرب ونشأت " عجمية أهل الأندلس "، أو كما يطلق عليها ابن حزم " اللطينية "، ولقد بلغ من غلبة هذه "العجمية " أن يذكر ابن حزم في – جمهرة أنساب العرب– جماعة من العرب فيقول :(دار بلي بشمال قرطبة، هم هناك إلي اليوم علي أنسابهم لا يحنون اللغة اللطينية، نساؤهم ورجالهم ويقرون الضيف، ولا يأكلون الية الشاة إلي اليوم، ولهم دار أخري بمورور (ابن غالب الأندلسى،١٩٥٥،ص٢٩٣) ويفهم من ذلك أن كلام العرب باللغة العجمية الأندلسية كان امراً عادياً وقد شذت عنه هذه القبيلة ، وبهذا نري أن لسان العرب لم يكن قد استعجم بعد في فترة الولاة ولكن العملية قد بدأت علي كل حال (ابن حزم ، دت،ص٤١٥).

ولكن هناك بعض القبائل التي حافظت علي نقاء الدم العربي والحرص علي التزاوج من داخل القبيلة فكان عار علي الفتاة العربية أن تتزوج من خارج بني جلدتها، فلقد أحتفظ لنا ابن الآبار ببيت من الشعر يذم فيه صاحبه عبد الملك بن المنصور العامري لأنه زوج إحدى قريباته العامريات من أحد الموالي الصقالبة ويدعي قند فقال (ابن الابار،١٩٨٥ ، ص٢٧٨):

[1] وادي أش Guadix: مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة، كبيرة خطيرة تطرد حولها المياه والأنهار، ينحط نهرها من جبل شيلر وهو في شرقيها وهي علي ضفته، وهي كثيرة التوت والأعناب والزيتون.

[2] شقورة Sagura: وحصن شقورة كالمدينة العامرة بأهله وهو في رأس جبل عظيم متصل الجهة حسن البنية ويخرج من تحته نهران، أحدهما نهر قرطبة المسمى بالنهر الكبير والثاني هو النهر الأبيض المسمى بالنهر الكبير الذي يمر بمرسيه .

عربـــــيٌ مـــــزوَّجُ بنـــــتَ أختـــــهِ قـــــبَّح الله فعـــــل ذا ورمـــــاه بمقتـــــه

٢. البربر

ساهمت القبائل البربرية بنصيب وافر في أحداث الفتح الإسلامي ٩٢ هـ / ٧١١ م وكان غالبية جيش طارق بن زياد من البربر، وأيضا عدد لا بأس به من جيش موسي بن نصير، ولم يقتصر نشاط البربر علي المشاركة الحربية فقط، فبعد أن علموا بنجاح الاستيلاء علي شبه جزيرة أيبريا بدأت الهجرة البربرية إلي الأندلس، وبدأ هذا بعد الفتح مباشرة ولم ينتهي سريعا كما كان حال العرب الذين انتهت هجراتهم إلي الأندلس في عصر الولاة، بل استمر لفترة طويلة بعدها وذلك بسبب قرب موقع الأندلس لأفريقية، والجاذبية الخاصة والحب الشديد من البربر للأندلس، ورغبتهم في تبديل أحوالهم المعيشية المتواضعة التي كانوا يعانون منها في بلادهم المقفرة (المقرى،١٩٦٨،ص٢٥٩) .

ينتمي البربر– الذين دخلوا الأندلس– إلي العديد من قبائل البتر والبرانس في شمال أفريقيا، ولكن كان الغالبية العظمي من قبائل مصمودة وفروعها، أما الآخرون فمن هوارة، ونفزة، وزناتة، ومكانسة، ومطغرة، ولقد استقروا في مختلف أنحاء شبه جزيرة أيبريا. (السامرائى– ذنون ، ٢٠٠٠، ص٨١) ولقد أضاف ابن حزم في ذكر القبائل البربرية التي سكنت في الأندلس وهي مغيلة، وملزوزة، ونفزة، وأوربة، ومصمودة. ولقد استقر بربر بنو رزين من مديونة في السهلة، وبني غزلون من تيروال استقروا في شاطبة، وبني ذي النون من هوارة استقروا في وبذة، وبني الفرج من مصمودة في وادي الحجارة (ابن حزم، دت، ص ٤٦١-٤٦٩) ولم يكن لدي العرب أو البربر أية معلومات مسبقة عن الأماكن التي استوطنوها في الأندلس بعد الفتح، علي الرغم من كون البربر كانوا يسكنون في أماكن متشابهة في شمال أفريقيا، أي أنهم في موقف أفضل لاختيار الأماكن المناسبة لهم، ولكن البربر دائمًا لا يفضلون سكن الجبال بل يفضلون أماكن شبيهة ببيئتهم الأساسية. وكان أغلب استقرار البربر في المنطقة الجنوبية; حيث مدينة الجزيرة الخضراء، وشذونة، وإشبيليه، و قرطبة، ومنطقتها و رندة، وجيان، والبيرة. (Bleye،١٩٤٧، p412) وفي منطقة الوسط والغرب; حيث وديان نهر تاجة من شمال طليطلة وطلبيرة **Talavera** [١] (الإدريسي، ٢٠٠٢، ص٥٥١) إلي وادي نهرانة في الجنوب؛ حيث تقع ماردة و مادلين وبقية المناطق المأهولة في الأجزاء الغربية من شبه الجزيرة الأيبرية.(ذنون طه،٢٠٠٤، ص٢٦٩) وفي الشرق استقروا في منطقتي بلنسية وتدمير (مرسية) (ذنون طه،٢٠٠٤،ص٢٧٥) ، وفي الشمال الشرقي انتشر البربر في منطقة جبال البرت في الأراضي التي تشمل في الوقت الحاضر محافظتي لاردة ووشقة، ثم تتوغل جنوبًا إلي وادي نهر الإبرة والمحافظات الحديثة سرته، ووادي الحجارة، وقونقة، وتيروال، باستثناء مدينة سرقسطة التي كان أغلب ساكنيها من العرب (ذنون طه،٢٠٠٤،ص٢٧٥) . وفي الشمال الغربي أيضا انتشروا أثناء الفتح علي شكل حاميات، وكانت تتكون من البربر والعرب معا، ولكن كانت الغالبية فيها للبربر. ولقد استقروا في جليقية، وأستورقة، وشرطانية غرب جبال البرت (ذنون طه،٢٠٠٤، ص٢٨٣) .

رغم توطن البربر في أماكن مختلفة، إلا أن بعضهم قد عاد إلي بلاده في أعقاب ردع العرب لثورتهم والتنكيل بهم عام ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م، ثم بعد مجاعة سني برباط عام ١٣٢ . ١٣٦ هـ / ٧٤٨ . ٧٥٣ م (مجهول، ١٩٨٩،ص٦٢)، ومع ذلك ما لبثت هجراتهم أن عاودت تدفقها من جديد بسبب العوامل الاقتصادية سالفة الذكر، بالإضافة إلي انخراطهم في صفوف الجيش الأموي كنجود مرتزقة في سياسة أنتهجها الأمويون منذ عهد عبد الرحمن الداخل لتثبيت دعائم دولته في مواجهة الثورات أعداء الحكم الأموي (المقرى، ١٩٦٨،ص٨٢) .

لم يقتصر دور البربر علي الإسهامات العسكرية فقط، بل أنهم وصلوا إلي أعلي المناصب الإدارية كالحجابة، والوزارة، والقضاء (سلامة ، ١٩٩٣، ص ٨٣) .

[١] طليبرة Talavera: علي مسافة سبعين ميلاً من طليطلة، وهي مدينة قديمة أزلية تطل علي نهر تاجة، وكانت أقصي ثغور المسلمين، لذلك كانت تتوجه منها الجيوش الإسلامية إلي قشتالة وجليقية، وتعتبر قلعتها من أرفع قلاع المسلمين حصانة .

على الرغم من كون البربر من المسلمين ، الا انهم كانوا يميلوا الى استخدام اللغة البربرية الأمازيغية فيما بينهم رغم معرفتهم باللغة العربية (حقى ، ٢٠٠١، ص ٣٦).

٣. اليهود

كان اليهود من المرحبين بدخول المسلمين إلي شبه جزيرة أيبريا، وكانوا يقدمون لهم المساعدات في حراسة المدن التي تم فتحها، فيقول صاحب الأخبار المجموعة في حديثه عن فتح مدينة البيرة "فحصروا مدينتها فافتتحت، فألقوا بها يومئذ يهود، وكانوا إذا ألفوا اليهود ببلدة ضموهم إلي مدينة البلد، وتركوا معهم من المسلمين طائفة " (مجهول،١٩٨٩،ص٢٢)، ويقول في حديثه عن فتح قرطبة " فجمع يهود قرطبة فضممهم عليها " (مجهول،١٩٨٩،ص٢٣) ، وعن فتح موسي ابن نصير لإشبيلية يقول "فأتاها موسي بن نصير حتي حصرها أشهرًا، ثم إن الله فتحها، فهرب العلوج إلي مدينة باجة، فضم موسي يهودها "(مجهول،١٩٨٩،ص٢٥). ويذكرهم ابن عذاري فيقول: " وألفي طارق طليطلة خالية ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة، وفر علجها مع أصحابه، ولحق بمدينة خلف الجبل وتبعهم طارق بعد أن ضم اليهود وخلّي معهم بعض رجاله وأصحابه بطليطلة، فسلك إلي وادي الحجارة " (ابن عذارى، ١٩٨٠، ص١٢). كان السبب الرئيسي والمباشر لمساعدة اليهود للعرب في الفتح، سوء المعاملة والاضطهاد الواقع عليهم تحت الحكم القوطي، فظلوا يتمتعون بمراكزهم واستطاع بعضهم في العصور المتتالية أن يحصلوا علي منصب الوزارة، وأطباء في بلاط الأمراء، بل والأكثر من ذلك أن حركة بعث الأدب العبري واللغة العبرية بدأت في إسبانيا تحت حكم الأندلسيين، وكان بعض علماء المسلمين يعينون اليهود علي إنشاء نحو لغتهم، واستعرب اليهود منذ زمن مبكر فأخذوا لغة العرب وأزياءهم (مطلق،١٩٦٥، ص ١٠).

٤. السكان الأصليون

وكان المسلمون يطلقون علي أهل الأندلس جميعا لفظ "عجم الأندلس" أو أهل الذمة، ومن كان منهم علي عهد مع المسلمين سُموا " بالمعاهدين " ويقولون عنهم: المعاهدون من النصارى أو المعاهدة من النصارى، واليهود يسموا يهودًا أو ذميين.(مؤنس، ٢٠٠٢،ص٤٦٠) ولقد أطلق لفظ "المسالمة" علي من دخل منهم في الإسلام بعد الفتح إما رغبة في مصلحة دنيوية أو اقتناعًا منهم بهذا الدين. وبعد ذلك يأتي جيل من " المولدين " وهم نتاج تزاوج الإسبانيات والعرب، ولقد اشتغل المسلمون الجدد في القري بتربية المواشي والزراعة، وفي السواحل بالصيد والصناعات البحرية، وكانوا أيضا يشتغلون هم والموالي بالحِرف والتجارة، ونستنبط من هذا الدور الفعال الذي كان قام به المولدون في النهضة باقتصاد البلاد، بعد أن أصبحوا العدد الأكبر من سكان الأندلس، ولقد تركهم الأمويون يتمتعون بقسط وافر من الحرية ساعدهم علي الاغتناء والتغلغل داخل الاقتصاد. (مطلق،١٩٦٥، ص ١١). ولقد احتفظ كثير من المولدين أسمائهم القديمة مثالاً: بنو أنجلين Angelino،وبنو شبرقة Sabarico، وبنو الجريج Jorge، وبنو لنتق Longo، وبنو القبطرنة Kabturno، وبنو مردنيش Martinez، وبنو غرسية Garcia، وبنو ردلف Rodolfo (سالم،١٩٦٩،ص١٢٩-١٢٩).

٥. الصقالبة

هم طبقة من الرقيق شاع استخدامهم في الأندلس وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، وعرف الصقالبة ببياض بشرتهم (الحموى،١٩٧٧،ص٤١٦) ، ويعتبروا من ولد يافث بن نوح (المسعودى،٢٠٠٥ ،ص٢٧) ،وكانت بلادهم فسيحة ومترامية الأطراف تتاخم بلاد الخرز في أعالي جبال الروم خلف خوارزم (المقدسى،١٩٠٩،ص٢٤٢) وبالتحديد في الأرض الواقعة بين بلاد البلغار والقسطنطينية، ولقد دأب الخراسانيون من جهة، والإفرنج من جهة أخري علي مهاجمة هذه البلاد وغزوها وسبي أهلها وبيعهم في الأندلس(المقرى،١٩٦٨ ،ص١٤٥)، وفي الأندلس كان اليهود يقومون بخصي الرجال منهم، فكان اليهود يقومون بخصيهم خلف مدينة بجانة، ثم يُحملون إلي سائر البلاد كرقيق خصيان (المقدسى ،١٩٠٩، ص ٢٤٢)، ولهذا سموا بالسلاف Slaves Esclaves بمعني الرقيق أو العبيد، ثم عرّب مسلمو إسبانيا هذه التسمية الجديدة (سلامة ، ١٩٩٧، ص٥٥) ، و أصبح لقب الصقالبة يعبر إجمالًا عن الرقيق الأبيض الذي يرد من أمم مسيحية، حتي أولئك الذين يؤتي بهم من بلاد جليقية (البكرى ،١٩٩٢ ،ص٩١٢) وجنوب فرنسا (الجمال،٢٠٠٧، ص ٨٠) فيقول ابن حوقل في ذلك " ومن مشهور جهازهم الرقيق من

الجواري والغلمان الروقة من سبي إفرنجه وجليقية والخدم الصقالبة، وجميع من علي وجه الأرض من الصقالبة الخصيان فمن جَلبَ الأندلس "(ابن حوقل ،١٩٩٢، ص١٠٥-١٠٦).

وقد أعتنق هؤلاء الصقالبة جميعًا الإسلام، فأغلبهم كانوا يُحمّلون إلي الأندلس صغارًا، فتعلموا لغات الأندلس، واتخذوا الطابع الأندلسي كاملًا، وعلي الرغم من فقدهم لكل اتصال مع بلادهم الأولي إلا أنهم استطاعوا أن يحملوا بعض العادات الغريبة علي المجتمع الأندلسي، وألفاظ غريبة مهما كانت قليلة ولكنها لم يكن لها صلة بالتراث الثقافي الأندلسي(بروفنسال، ١٩٩٤، ص١٠٩).

وبعد عتقهم كان الصقالبة يقون في خدمة أسيادهم بعد أن يحملوا لقب " موالي "(سلامة ، ١٩٩٧، ص٥٦) ، ولقد أطلقت المصادر عليهم عدة ألقاب فلقد ذكرهم ابن بسام بقوله المجابيب الصقلب (ابن بسام ، ١٩٩٧، ص ١٤) ويذكرهم المقري بالمماليك (المقرى ، ١٩٦٨ ، ص ٣٣٨) ، والخلفاء الأكابر(المقرى، ١٩٦٨ ، ص٢٨٦) ، ويذكرهم ابن الآبار بالعبيد المجابيب(ابن الأبار، ١٩٦١، ص٢٠٢) ، ولقد رجع تعدد وتنوع المسميات إلي الطبيعة المختلفة، والمكانة التي وصلوا إليها، فمثلًا يوضح لنا المقدسي معني المجبوب وهو الصقلبي المخنث الذي جُب من أسفله (المقدسى ، ١٩٠٩،ص٢٤٢) والخلفاء الأكابر وهم رؤساء الصقالبة في بلاط العامريين، والمماليك يقصد بها وضعيتهم الحقيقة عند جلبهم إلي الأندلس، فهم مماليك لأسيادهم الجدد ومالكي رقابهم (سلامة ،١٩٩٧،ص ٥٧).

ويعتبر الأمير عبد الرحمن بن معاوية – (١٣٨ –١٧٢ هـ /٧٥٦ – ٧٨٨ م) أول من أدخل الخصيان إلي قصور الخلافة، فبعد أن كان يعتمد اعتمادًا كليًا علي العرب، إلا أن خروج الأمراء العرب عليه، والعصبيات التي ظهرت بينهم، والخلافات التي كانت بين اليمنية والقيسية، كانت سبباً في بُعد عبد الرحمن الداخل عن العرب والاستعانة بالموالي والبربر وحشد حوله منهم آلاف مؤلفة لتكون له وقت الحاجة عونًا يركن إليه ويثق فيه (عنان، ١٩٩٧،ص١٩٨) .

وكانت الحملات العسكرية العديدة التي قام بها هشام الرضا الموجهة إلي ألبة والقلاع وجرندة وأرض شرطانية وأسترقة سبباً في وصوا أفواج من الرقيق الصقلبي إلي الأندلس(مجهول، ٢٠٠٧،ص١٧٢).

كانت سياسة الأمويين منذ عهد الحكم بن هشام (١٨٠ – ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ – ٨٢٢ م) تقوم علي اصطناع الصقالبة والاعتماد عليهم في حمايتهم في حروبهم، بعد تسرب الشك إلي نفوس الأمويين تجاه القبائل العربية وشكهم في إخلاصهم وولائهم لهم، إلا ان نسبة الصقالبة في الجيوش الأموية ومجالات الإدارة الأخرى كانت قليلة نسبيًا إذا ما تم مقارنتها بمشاركة البربر (المقرى ، ١٩٦٨، ص ٣٦).

فنجد مثلاً في عهد الأمير الحكم الربضي قام باستحداث خطة المظالم بالأندلس وولي عليها مسرة الخصي (مجهول،٢٠٠٧، ص١٧٨) ، وبلغ عدد المماليك في عهده إلي خمسة ألاف صقلبي، منهم ثلاثة ألاف من الفرسان، وألفان من الرجالة جعلهم يقيمون بباب قصره نوبًا، وجعل علي كل مائة منهم قائدًا، وهم الخرس وسموا بذلك لعجمتهم (ابن سعيد ، دت ، ص ٣٩).

وفي عهد عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ – ٨٥٢ م) أستخدم الصقالبة بكثرة في الجيش والإدارة حتي بلغ نفوذهم ذروته عند وفاته عندما نقلوا السلطة إلي ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ – ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ – ٨٨٦ م) علي عكس ما كان مخططًا له من تولية ابنه عبد الله من سيدتهم طروب، ولقد قاموا بذلك وخوفًا علي ما قد يصيبهم إذا ما وصل الأمير عبد الله بن طروب لسدة الحكم، فقدم الصقالبة المصلحة العامة للبلاد علي مصلحتهم الشخصية رغم ما كانوا سيظفرون به لو ولي عليهم عبد الله بن طروب (ابن القوطية ، ١٩٨٩،ص٩١-٩٢)، ولقد مرت بهم فترة طويلة أقتصر دورهم علي الإشراف علي شئون القصر والحريم، حتي استردوا نفوذهم في الجيش (ابن القوطية ١٩٨٩،ص١١٩) والإدارة، ففي عهد عبد الله بن محمد (٢٧٥ – ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ – ٩١٢ م) أسترد الصقالبة بعض من نفوذهم عندما عزل الأمير عبد الله حاجبه سعيد بن محمد بن السليم واستخدم بعض الوزراء من بينهم وصيفه بدر الخصي الذي ناب عن الحاجب لديه وأستولي علي خاصته (ابن حيان ١٩٧٩، ص٤-٥) كما قلد الأمير عبد الله ريان الصقلبي دار الطراز، وأفلح الفتي وصيفًا له (ابن عذارى،١٩٨٠، ص ١٥١) .

وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ / ٩١٢ – ٩٦١ م) أشتد نفوذ الصقالبة والموالي نتيجة تقريب حكام بني أمية لهم وتفاني الصقالبة والموالي في خدمتهم، فلقد أشتد نفوذهم في عصر الناصر في شؤون الإدارة والحكم، فضلًا عن القصر والخاص، فقد عهد إليهم بأعلى مناصب الدولة في القصر والإدارة والجيش لثقته البالغة فيهم وإخلاصهم له، ولهذا سما شأن الصقالبة وتوطد سلطانهم، وأحرزوا الضياع وحازوا الأموال الوفيرة، وفاق عددهم في عهد الناصر أي عهد أخر؛ حيث بلغ عدد الفتيان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون، وعدة النساء بقصر الزهراء الكبار والصغار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلاثمائة امرأة.(الجمال،٢٠٠٧، ص٩٤-٩٥) وفي رواية أخري يقال: إن عدد الصقالبة في الزهراء كان ثلاثة آلاف خصي وتسعمائة وخمسين خصيًّا (مجهول،٢٠٠٧، ص٢٠٨) وقال أخرون: إن عدد الفتيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون، وقيل أيضاً ثلاثة آلاف وسبعمائة سبعة وثمانين، وأضافوا أيضًا عدد ستة آلاف صقلبي وسبعة وثمانون، وذكر البعض أيضًا أن عدد الفتيان الصقالبة في الزهراء ثلاثة عشر ألفًا وسبعمائة وخمسين فتي (المقرى،١٩٦٨، ص٥٦٧).

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر(٣٥٠ – ٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦ م) ازداد نفوذ الصقالبة من أصحاب المهن الرفيعة، وأصابهم الغرور وأثاروا بُغض الناس، فكان الحكم المستنصر يتغاضى عن ردعهم لسمو مكانتهم، واعترافًا منه بفضلهم علي دولته قائلًا: " هم أمناؤنا وثقاتنا علي الحرم، فينبغي للرعية أن تلين لهم، وترفق في معاملتهم فتسلم في معرتهم إذ ليس يمكننا في كل وقت الإنكار عليهم " (ابن عذراى، ١٩٨٠، ص٢٥٩) وبعد وفاة الخليفة الحكم يعلق ابن عذاري علي تفاقم نفوذ الصقالبة قائلًا: " ولما مات الحكم، كان الصقالبة أكثر جمعًا وأحد شوكة، يظنون أن لا غالب لهم وأن الملك بأيديهم " (ابن عذراى، ١٩٨٠، ص٢٥٩) فلقد أرادوا توجيه مقاليد الأمور في البلاد وفق أهوائهم، فلقد أرادوا إبعاد هشام بن الحكم ولي العهد وأن يذهب الأمر إلي عمه المغيرة بن الناصر، أملًا في أن بقاء السلطة في أيديهم وازدياد نفوذهم، ولكن رجال الدولة وعلي رأسهم الحاجب جعفر المصحفى ومحمد بن أبي عامر نجحوا في إحباط مؤامرة الصقالبة فقام محمد بن أبي عامر بالتخلص من المغيرة وأحبطت أخطر محاولات الصقالبة للسيطرة علي مقاليد الأمور في الأندلس (ابن بسام ،١٩٩٧، ص٥٨).

أستغل المنصور بن أبي عامر حالة العداء بين المصحفي والصقالبة وفكر في الخلاص من الطرفين، فخطط للتخلص من كل خصومه وخلق الدولة خلقًا جديدًا معتمدًا علي مواليه الجدد من الصقالبة فيقول ابن سعيد: " إنه العامري استعان أولًا بالمصحفي علي الصقالبة، ثم بجعفر ممدوح ابن هاني علي غالب، ثم بعبد الرحمن بن هشام التجيبي علي جعفر، وعدا بنفسه علي عبد الرحمن، وقال للدهر هل من مبارز "(ابن الخطيب،٢٠٠٣،ص٦٣) .أصبح الصقالبة الموالي الجدد للمنصور بن أبي عامر وحصلوا علي أعلي المناصب في عهد المنصور وأولاده، وصاروا طبقة حقيقة ذات امتيازات عالية، وذلك لاستخدامهم في الجيش والجهاز الإداري للدولة، وحكم الولايات، والإشراف علي القصر والحريم (ابن بسام ، ١٩٩٧،ص٧٤).

وفي أعقاب انهيار الخلافة الأموية في الأندلس، استقل الصقالبة بشرق الأندلس وكونوا إمارات صغيرة مستقلة تكون لهم أنفسهم علي طول الساحل الشرقي لشبه الجزيرة في دانية، وبلنسية وطرطوشة، مكونين طبقة عرفت بالطبقة الصقلبية كانت في مواجهة الطائفتين الأندلسية والبربرية (بروفنسال،١٩٩٤،ص١٠٩).

٦. حال اللغة بين عناصر السكان في الأندلس

حين دخل العرب الأندلس كانت اللغة العربية هي اللغة الأم حتي مع اختلاف اللهجات بين القبائل، ولكنها تظل لغة القرآن ففرضت نفسها لغة للإدارة أيضًا، وأصبحت لغة الحديث في اجتماعات الأصدقاء المثقفين، وفي المجالس الأدبية، وفي تحرير الرسائل، والوثائق الرسمية، وفي الإبداع الأدبي شعرًا ونثرًا، ولغة التعليم بنوعيه المبتدئ والعالي علي السواء، وفي العلاقات الدولية مع المشرق خاصة، وكان التمكن منها شرطاً لتولي أيٍّ من المناصب العامة (الطاهر مكى،١٩٧٧، ص ٢٤).

وأدخل البربر لغتهم البربرية، والتي كانوا يستخدمونها في الحديث فيما بينهم في حين أن لغتهم مع غير البربر كانت باللغة العربية هذا بالإضافة إلي كونهم قديمي العهد بالإسلام. ومنذ القرن التاسع لم يتكلم في الأندلس أحد باللغة البربرية إلا في عهد بلاطات ملوك الطوائف من ذوي الأصل البربري مثل ملوك بني زيري الصنهاجيون بغرناطة، وتعود اللغة البربرية إلى الأندلس بمجيء المرابطين اللمتونيين.(مطلق،١٩٦٥،ص١٢) . ولقد تأثر البربر المستقرون في الأندلس بالبيئة الجديدة تأثرًا كبيرًا، فما كاد الجيل الأول منهم أن ينقضي حتي يظهر الجيل التالي وقد اتخذ الأندلس وطنًا له، فنجد أن البربر بعد أن ربطتهم علاقات مصاهرة مع إسبانيات جاء الجيل التالي وقد أخذوا عن أمهاتهم لغة الحديث والتأثر بالعادات الأندلسية أسرع من العرب، لأن العرب كان لديهم اللغة العربية، وكانت لديهم العصبية القبيلة قوية فكانت بمثابة خط دفاع أمام الانسحاق أمام الحضارة الإسبانية، علي العكس من هذا كان البربر الذين أتخذوا اللغة البربرية لغة حديث فقط و استخدموا اللغة العربية في الكتابة. وكان لهؤلاء الأندلسيين– من أصل بربري– أعظم الأثر في الأندلس الإسلامي (مؤنس،٢٠٠٢،ص٤٥٣).

أما اليهود فلا يوجد نصوص تدل علي أنهم كانوا يستخدموا اللغة العبرية إلا في شعائرهم الدينية، فكانوا أسرع تعريبًا من المسيحيين، حتي نشأت بينهم في عهد ملوك الطوائف حركة بعث اللغة العبرية (مطلق، ١٩٦٥،ص١٣).

أما الصقالبة فمع اعتناقهم جميعاً للإسلام، في سرعة فائقة ومع سرعة التأثير بهم لأنهم كانوا يُحملون إلي الأندلس صغارًا، فلقد أتخذوا الطابع الأندلسي، وتعلموا لغات الأندلس، خاصة مع فقدهم لكل الصلات مع بلادهم الأولي (المقدسى،١٩٠٩، ص٢٣٣).

إذا حاولنا أن نحصر اللغات علي شبه الجزيرة فإننا نجد أن هناك اللغة اللاتينية، وهي لغة رجال الدين من المستعربين يعرفونها إلي جانب ما يعرفون من العربية الفصحي والعامية، واللغة الرومانسية أو اللاتينية الدارجة ، لأنها تختلف عن اللاتينية الأدبية في تراكيبها وصوتياتها ومفرداتها ودلالاتها، وتتباين مناطق وعصورًا، وتأثرًا باللغات القديمة في المناطق التي عاشت فيها، ولم يصل لنا منها إلا النذر اليسير، وذلك لأنها لم تكن لغة ثقافة، إنما تستخدم في الطقوس الدينية وفي الوثائق الإدارية فحسب؛ فلقد كان غالبية المستعربين واليهود ومعظم المسلمين العرب والبربر يعرفون اللغة الرومانسية أو يلمون بشيء منها، إلي جانب الفصحي وعامية أهل الأندلس وهي لغة انحدرت من اللاتينية العامية وابتعدت عنها كثيرًا وأخذت في كل منطقة تطورًا خاصًا صوتًا واشتقاقًا وتركيبًا (حكمت الأوسى، دت ، ص١٧–١٨) ، فكانت تضم ألفاظًا كثيرة من اللغة القوطية أما بقيتها كانت لهجات مختلفة من اللاتينية العامة. ولم تبق اللغة علي نقائها الأول لدخول ألسنه جديدة ومصطلحات جديدة علي اللغة(مطلق، ١٩٦٥، ص١٣–١٤) ولقد بدأ استعراب أهل البلاد الأصليين قبل أن يدخلوا في الإسلام فأخذوا عن العرب أسلوبهم في الحياه ولغتهم (مؤنس، ٢٠٠٢، ص٤٦٤).

اشتبكت اللغتان العربية واللاتينية أو أعجمية أهل الأندلس في صراع كان من شأنه أن تتغلب إحداهما علي الأخرى، ولقد مر هذا الصراع بمراحل كثيرة علي مدي زمني كبير حتي وصل في النهاية إلي تغلب اللغة العربية علي لغة السكان الأصليين، ففي حالة أي صراع بين لغتين – بعد هجرة أو نزوح أو فتح ودخول عنصر أجنبي إلي البلاد– فإما أن تنتصر إحداهما علي الأخرى أو تتعايش اللغتان جنبًا بجنب. ويحدث هذا في حال تغلب إحدى اللغتين علي الأخرى إذا كان كلا من الشعبان همجيًا وقليل الحضارة وكانت فئة منهما أكبر من الأخرى فتسود لغتهم لكبر عدد مستخدميها سواء كانت لغة الغالب أو المغلوب (عبد الواحد،٢٠٠٤، ص٢٣٠).

والحالة الثانية أن يكون الشعب الغالب أرقي وأكثر حضارةً وثقافة وآداب في لغته، ففي هذه الحالة يُكتب النصر لصاحب اللغة ذات الحضارة حتي وإن قل عدد مستخدميها علي شرط أن يحدث امتزاج بين أفراد هذا الشعب وأن تدوم غلبته وقوته مدة كافية وأن تكون من شعبة لغوية واحدة أو شعبتين متقاربتين(عبد الواحد،٢٠٠٤، ص٢٣٢).

ويقول في ذلك المقري في نفح الطيب: " مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام فيه كثير من الانحراف عما تقضيه أوضاع العربية، حتي لو أن شخصًا من العرب سمع كلام الشلوبيني أبي علي المشار إليه بعلم النحو في عصرنا هذا، الذي غربت تصانيفه وشرقت وهو يقرأ درسه لضحك بملء فيّه لشدة التحريف الذي في لسانه، والخاص منهم إذا تكلم بالأعراب وأخذ يجري علي قوانين النحو استثقلوه، واستبردوه، ولكن ذلك مراعي عندهم في القراءات والمخاطبات بالرسائل (المقرى،١٩٦٨، ص ٢٢١-٢٢٢).

ثانياً ـ مراحل الصراع بين اللغتين اللاتينية والعربية

١/١ الحركة اللغوية في الأندلس في القرن الثالث الهجرى (مرحلة الندية)

كانت الحاجة إلي تعليم اللغة العربية سببًا في نشأة طبقة من المعلمين أخذوا علي عاتقهم تعليم اللغة الجديدة في جميع مدن الأندلس عامة وقرطبة خاصة، ولقد سمي من يمتهن هذه المهن " المؤدب "، وكان المؤدب في المشرق هو من يقوم بالتعليم في بيوت الخاصة، والأمر في الأندلس لم يقتصر علي ذلك، بل تطرق إلي التعليم في البيوت وأيضًا التعليم في المساجد والكتاتيب (مطلق، ١٩٦٥، ص ٢٧).

وتذخر المصادر بتراجم مشاهير مؤدبي أبناء حكام بنى أمية ومنهم:

سوار بن طارق وهو معتق الخليفة هشام بن معاوية وأدب ولده وولد الحكم وتوفي بعد هيج الربض(الزبيدى،١٩٨٤، ص٢٥٧).ابن أرقم وهو من أهل العلم بالعربية واللغة والكلام، وكان مؤدبًا للخليفة عبد الرحمن الناصر، ووالده كان والده يؤدب أبناء الخلفاء (الزبيدى، ١٩٨٤، ص ٢٨٢). عثمان بن المثني (ابن الفرضى ، ٢٠٠٨، ص ٣٩٤) أدب أولاد عبد الرحمن بن الحكم وأولاد محمد، ورحل إلي المشرق ولقي حبيب بن أوس، فقرأ عليه شعره وأدخله الأندلس، وكان له فضل وشجاعة وتوفي عام ٢٧٣ هـ/ ٨٨٧م .(الزبيدى،١٩٨٤ ، ص٢٦٦). جابر بن غيث(السيوطى ، ١٩٦٥، ص ٤٩٣) وعبد الرحمن أخوه كان جابر من المؤدبين لأبناء الوزير هاشم بن عبد العزيز، وقيل عنه إنه من أحد الناس في التأديب، فقل من تأدب عنده ولم يتمسك بالعلم، وتوفي جابر عام ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م (الزبيدى،١٩٨٤، ص٢٦٦-٢٦٧) . أبوالوليد الغافقي(الخشنى،١٩٩١، ص ٣٤٠) وكان قصير الباع في اللغة العربية، وعلم العروض أغلب عليه، وأدب أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر، وأدب الحكم أمير المؤمنين وتوفي ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (الزبيدى،١٩٨٤، ص٢٨٤). محمد بن أسماعيل النحوي. (الزبيدى،١٩٨٤، ص٢٧٦) وأدب الحكم المستنصر توفى عام ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م (ابن الفرضى ،٢٠٠٨، ص٧٢).

صالح بن معافي وكان يؤدب عند بني فطيس، وكان من ذوي العلم بالعربية والرواية والشعر.(الزبيدى،١٩٨٤، ص٢٧٦) الذهن (ابن الفرضى ،٢٠٠٨، ص١٣٩) هو أيوب مصور كان ذوى علم بالعربية ومؤدبا بها، وأدب ولد أمير المؤمنين الناصر . (الزبيدى،١٩٨٤، ص٢٩٩). المكلفخي كان عالما باللغة العربية ورواية الشعر، وأدب بعض من ولد أمير المؤمنين(الزبيدى،١٩٨٤، ص٣٠٤). أصبغ المؤدب(ابن الابار ،١٩٩٥، ص ١٦٩) يكني أبا القاسم، وكان من أهل الحذق بالعربية والعلم وبمعاني الشعر، وأستأدبه أمير المؤمنين الناصر لدين الله لأبنه المغيرة فأحسن تأديبه (الزبيدى،١٩٨٤، ص٣٠٥).

ونذكر أمثلة المؤدبين غير المختصين بأبناء الخاصة فمنهم أبو القاسم عبد الوهاب بن يونس كان مؤدبا بالعربية، حافظًا جيد القياس فيها، توفي سنة ٣٠٠ هـ/٩١٣ م (الزبيدى،١٩٨٤، ص٣٠٥) . أحمد بن شاب بن عيسي الأموي من أهل قرطبة، وكان مؤدب كُتاب، وسمع من مطرف بن قيس، ويحيي بن راشد، وكان زاهدًا فاضلًا، وتوفي سنة ٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م (الخشنى ، ١٩٩١، ص ٣٠) . أحمد بن محمد الأعرج(ابن الفرضى ،٢٠٠٨، ص٨٧) وكان قد سمع الحديث ورواه عن محمد بن عمر بن لبابة، وكان مهيباً في تأديبه، وكان لا يجترأ أحدا ممن تأدب عنده أن يُظهر غير الجد وكان يلقب بالقاضي وتوفي عام ٣٤٥ هـ /٩٥٧ م (الزبيدى،١٩٨٤، ص٢٩٩). سعيد بن قدامة البلوطي(ابن الفرضى ،٢٠٠٨، ص٢٣٩) كان مؤدبًا عالمًا بالعربية ، وكان يميل إلي مذهب الكوفيين، وكان ذا سمت ووقار توفى سنة ٣٤٨ هـ/ ٩٥٩م (الزبيدى،١٩٨٤، ص٢٩٩). الطبيخي(الذهبى ،٢٠٠٣، ص٥١) أبو العباس وليد بن عيسي بن حارث بن سالم بن موسي كان ذا علم باللغة والشعر، وكان ذا حظ بالعربية،

وكان بصيرًا بمعاني الشعر، وحسن التلقين لم يستبلد فهمه عنها، وكان يقر بها ويضرب الأمثال فيها حتي عرف عنه ذلك، وتنافسه الملوك فلم يؤدب غلا عند الجلة، وكان خيّراً ديّنا وتوفي في **٣٥٢ هـ/٩٦٣م** (الزبيدى،١٩٨٤، ص٣٠٤) .

الشمر بن نمير(ابن يونس ، ٢٠٠٠، ص ٢٣٩؛) **أبو عبد الله الشاعر نديم الأمير عبد الرحمن، وكان من أهل العلم بالعربية واللغة، ورحل من قرطبة بعد التأديب بها إلي الشرق** (الزبيدى،١٩٨٤، ص٢٥٧).).**البغل** (االسيوطى ، ١٩٦٥، ص ٢٩٦) **هو أبو الحسن مفرج بن مالك النحوي، كان ذا صلاح وفضل ونية في تأديب المتعلمين، وأنجب علي يده أكثر أهل زمانه، وله كتاب في شرح كتاب الكسائي**(الزبيدى،١٩٨٤، ص٢٧٣). **عبد الصمد** (السيوطى ، ١٩٦٥، ص ٩٧) **بن مسعود النحوي، كان من أهل التأديب بالعربية، فأدب عند بني أبي عبدة، وأدب في القصر بعض الوصفاء، وكان نحويًا عروضيًا ذا حظ من اللغة**(ابن الابار ، ١٩٩٥، ص ١١٣). **ابن الأصفر كان مؤدبا بالقرآن و الشعر والحديث والنحو وكان له حظ من علم النحو واحتجاج في مذاهب المتكلمين**(الزبيدى،١٩٨٤، ص٣٠٣).

نستنتج مما سبق أن طبقة المؤدبين كان لها دور كبير في تثقيف أهل الأندلس، وكانوا حلقة وصل لمعرفة علوم اللغة العربية من نحو وعلم العروض، والشعر العربي ، مما كان له أبلغ الأثر في بداية تشكيل جيل من متقني فنون اللغة العربية. فنري أن المؤدب كان يجلس بتلاميذه في المساجد ونستنبط هذا من إشارة الخشني إلي رجل أتي إلي مؤمن بن سعيد الشاعر فطلب منه أن يكتب اسمه في رقعه، فأخذها الرجل وقذفها بين الرقاع، فوقعت في يد القاضي عمرو بن عبد الله، فلما قلّ الناس عنه، قال: من عقبة ؟، فتقدم إليه الرجل ، فقال له: من كتب اسمك ؟، فوصف له صفة مؤمن، فقال له: إياك أن تقعد إليه ثانيةً.(الخشنى ، ١٩٨١،ص١٤٩) **ولقد ذكرنا قبل ذلك في ترجمة أحمد بن شاب بن عيسي الأموي أنه كان مؤدب كُتاب، فنستنبط أنه لم يتوقف تطور تعليم المؤدبين علي اتخاذ المساجد كدور للتعليم فقط، بل امتد الأمر الي اتخاذ كتاتيب أيضًا. وإشارة أخري للمؤدبين، ذكرهم ابن عذاري في كتابه حين كان يوضح أفعال الخليفة الأموي الحكم المستنصر الطيبة فذكر منها قيامه بعمل حوانيت لتعليم أولاد المستضعفين في قرطبة** (ابن عذارى، ١٩٨٠، ص ٢٤٩).

ونستنبط أيضًا مما ذكرناه أكثر ما قام المؤدبين بتدريسه لتلاميذهم، فكان نشاطهم يتناول فروعًا من العلم منها الفقه، والحديث، والأدب، والشعر، واللغة العربية، والنحو. وكانت هذه الطبقة تنزل في نفوس الناس منزلة الاحترام والتقدير، وذلك لما أحرزوه من ثقافة وعلم وشخصية تتصف بالصلاح فيعهد أهل البلاد إليهم لتأديب أولادهم (مطلق ،١٩٦٥، ص ٣٠).

وتطورت ملكة الكلام عند أهل الأندلس الأصليين بعد الممارسة والاعتياد والتكرار لكلام العرب. فإذا قلنا: أن سيبويه والفارسي والزمخشري وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا عجمًا، ومع حصول هذه الملكة لهم فاعلم أنهم عجمًا في نسبهم فقط، أما التربية والنشأة بين العرب جعلتهم عربًا باللغة والكلام . ولكن لوجود ملكة كلام سابقة لديهم بجانب ملكة اللسان العربي فتأتي ملكته ناقصة ومخدوشة (ابن خلدون ، ٢٠٠١، ، ص ٧٧٧) ، **وهذا ما حدث مع أعاجم الأندلس.**

٢/١ رحلة طلاب العلم الأندلسيين إلي المشرق

لم يقتصر الحال علي الأندلسيين في محاولة تلقي العلم في الأندلس فقط، بل امتد اهتمامهم بالعلم إلي القيام برحلات الهدف منها الاستزادة من فنون العلم المختلفة من أدب، وفقه، وحديث، وشعر، ولغة، ونحو، ولم يقتصر ارتحالهم علي الأندلس فقط، أو علي القيروان فقط، بل امتد ترحالهم إلي مصر، والعراق والحجاز. ولأننا معنيون في دراستنا علي استنباط وجود اللغة العربية فسيكون أكبر الاهتمام بالعلماء اللغويين(مطلق ،١٩٦٥، ص٣٢).

ويوضح لنا الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين أن أكثر الأماكن التي انتشرت بها دراسة اللغة هي البصرة والكوفة مع تفوق العلماء البصريين علي الكوفيين ومنهم أبو العباس بن الفرج الرياشي، وأبو عثمان بكر بن محمد المازني، ومن النحويين واللغويين الكوفيين علي بن حمزة الكسائي. فنذكر من طلبة العلم الأندلسيين الذين لقوا علماء مشرقيين جودي النحوي (ابن الآبار، ١٩٩٥، ص ٢٠١). **وهو ارتحل إلي الشرق أيضا ،وهو أول من أدخل كتاب الكسائي إلي الأندلس، وله مؤلفات في النحو توفى عام ١٩٨ هـ / ٨١٤ م** . (الزبيدي، ١٩٨٤، ص ٢٥٦)

الغازي بن قيس (القاضي عياض ،١٩٨٣ م،ص ١١٤).**كان ملتزماً للتأديب بقرطبة أيام دخول عبد الرحمن بن معاوية، ثم رحل إلي المشرق، وشهد تأليف الإمام مالك للموطأ ويعتبر أول من أدخله الأندلس وتوفى عام ١٩٩ هـ / ٨١٥ م** (الزبيدي، ١٩٨٤ ، ص ٢٥٤). **عبد الله بن سوار بن طارق رحل مع ابنه محمد إلي المشرق ولقي أبا حاتم و الرياشي و غيرهما وتوفى عام ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م** (الزبيدي ،١٩٨٤، ص٢٦٠). **الخشني**(الحميدي، ٢٠٠٨، ترجمة ١٠٠، ص ١٠٧) **محمد بن عبد السلام، كان بصيرًا بكلام العرب، ورحل إلي الشرق فلقي المازني، وأبا حاتم والرياشي ٢٨٦ هـ /٨٩٩ م** (الزبيدي، ١٩٨٤، ص ٢٦٨).**محمد بن عبد الله بن الغازي**(الذهبي، ٢٠٠٣، ص ١٠٣٣). **رحل إلي المشرق ولقي الرياشي وأبا حاتم إبراهيم بن خداش وتوفى عام ٢٩٥ هـ /٩٠٨ م** (الزبيدي،١٩٨٤ ،ص٢٦٧.) **الأشتيق رحل إلي المشرق ولقي أبو جعفر الدينوري، واستنسخ كتاب سيبويه من نسخته، وأخذه عن رواية، و المازني، وله كتب مؤلفة في الأدب منها شواهد الحكم، وكتاب طبقات الكتاب توفى في ٣٠٧ هـ / ٩٢٠ م** (الزبيدي، ١٩٨٤، ص٢٨١). **ثابت بن عبد العزيز السرقسطي** (الضبي، ١٩٦٧، ص ٢٥٤) **وابنه قاسم كانا من أهل العلم باللغة العربية، ورحلا إلي المشرق**(الزبيدي ،١٩٨٤، ص ٢٨٤.) **. منذر بن سعيد القاضي**(القفطي ، ١٩٨٦، ص ٣٢٥)[٦] **المعروف بالبلوطي، وكانت له رحلة التقي فيها جماعة من أهل اللغة والفقه، وجلب كتاب الأشراف في اختلاف العلماء، رواية عن المؤلف محمد ابن المنذر، وكان يتفقه بفقه أبي سليمان داود القياسي** (الزبيدي،١٩٨٤، ص٢٩٥)

٣/١ كتب مشرقية دخلت إلى الأندلس

دخول كتب العلم من المشرق إلي الأندلس يعتبر من أكثر الأسباب التي أدت إلي ازدهار الحضارة الإسلامية وتثبيت أركانها ولغتها العربية في أرض الأندلس، فقد أقبل الناس علي طلبة العلم الذين زاروا المشرق وأخذوا عنها علمها. فكما ذكرنا سابقًا أن الغازي بن قيس كان أول من أدخل كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، وجودي النحوي أول من أدخل كتاب الكسائي إلي الأندلس، والأشتيق الذي استنسخ كتاب سيبويه، والبلوطي كان جلب كتاب الأشراف في اختلاف العلماء. ووهب بن نافع الاسدي (الذهبي، ٢٠٠٣، ص ٦٣٨). **كان من أهل قرطبة وكان فقهيًا مشاورًا في أيام الأمير محمد، وكانت له رحلة إلي المشرق، ويذكر بعض الرواة أن وهب ابن نافع هو أول من أخذ كتب عن أبي عبيد عن علي بن ثابت ، وأبي جعفر محمد بن وهب المسعري، وهو أول من أدخلها الأندلس، وأول من أخذت عنه، ثم أدخلها الخشني من بعده وتوفى سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٧ م** (ابن الفرضي، ٢٠٠٨،ص٢٠٥). **موهب بن عبد القادر بن موهب**(الخشني، ١٩٩١، ص ١٩٩.) **من أهل باجة وكانت له رحلة إلي المشرق أيضًا، ولقد سمع من ابن المنذر والعقيلي، وقيل : إنه كان قد جمع وأقر الكثير من الكتب، ولكنه توفي في طريق عودته إلي الأندلس، فأغلب الكتب قد وصلت إلي باجة عن طريق أهلها الذين كانوا معه في رحلته.**(ابن الفرضي، ٢٠٠٨ ، ص ١٩٤.) **قاسم بن ثابت ابن حزم رحل مع أبيه، فسمع في مصر من أحمد بن شعيب النسائي، وعني بجمع الحديث واللغة هو وأبوه، فأدخلا للأندلس علمًا كبيرا، وقيل أنهما أول من أدخلا كتاب العين إلي الأندلس** (الزبيدي، ١٩٨٤، ص ٢٨٤).

٤/١ النشاط الشفوي والتأليفي للغة العربية في الأندلس

من خلال قراءتنا لتراجم المؤدبين وطلاب العلم الذين كانت اللغة العربية شغفهم، نتبين أن أغلب ما قيل عنهم في الترجمة، فمثلًا ما قيل في الطبيخي أنه كان ذا علم باللغة والشعر، وكان ذا حظ بالعربية، وكان بصيرًا بمعاني الشعر، وحسن التلقين لم يستبلد فهمه عنها، أو ما قيل عن أصبغ المؤدب كونه من أهل الحذق بالعربية والعلم بمعاني الشعر، والمكلفخي كان عالمًا باللغة العربية وبرواية الشعر، ابن أرقم وهو من أهل العلم بالعربية واللغة والكلام وما إلي ذلك، فنجد أن أغلب القرن الثالث الهجري كان أكبر اهتمامهم بالكتب المشرقية وإدخالها الأندلس، وتدريسها إلي طلاب العلم ، فمثلًا سبق أن ذكرنا أن الغازي بن قيس هو أول من أدخل كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، وجودي النحوي هو من أول من أدخل كتاب الكسائي إلي الأندلس، والأشتيق الذي استنسخ كتاب سيبويه، والبلوطي الذي جلب كتاب الأشراف وقاموا جميعًا بتدريس هذه الكتب ونشر تعاليمهما في الأندلس كلها (مطلق، ١٩٦٥، ص ٤٠).

وإذا ذهبنا في طريقنا نلتمس معرفة نشاط التأليف في علوم اللغة العربية في هذه الفترة فسوف نجد أن هناك من قام بتأليف كتبا في اللغة والنحو ولكن المصادر لا تذكر عن هذه الكتب شيء، ومنهم جودي النحوي الذي قال الزبيدي عنه أنه له مؤلفات في النحو(الزبيدي، ١٩٨٤، ص ٢٥٦) ، ابن أبي غزالة وقيل أن له كتابًا ألفّه في العربية (الزبيدي، ١٩٨٤، ص ٢٥٩) ، خصيب الكلبي له مؤلف في اللغة، نحو مصنف أبو عبيد (الزبيدي، ١٩٨٤، ص ٢٥٩) ، بكر بن خاطب المرادي له تأليف في النحو(ابن الفرضي، ٢٠٠٨، ص ١٤٨) ، أبو الأصبغ عثمان بن إبراهيم البرشقيري، له تأليف في النحو(الزبيدي، ١٩٨٤، ص ٣٠٨). يحيي بن عبد الرحمن المعروف بالأبيض، كان متصرفًا في دروب العلم، متقدمًا في النحو واللغة، وألّف في النحو كتابًا أخذه الناس عنه.(ابن الفرضي، ٢٠٠٨، ص ٢٢٦-٢٢٧) أبو الحسن مفرج بن مالك النحوي له كتاب في شرح كتاب الكسائي (الزبيدي، ١٩٨٤، ص ٢٧٣).

والنوع الآخر من الكتب التي عرفنا أسماءها كتب ألفها عبد الملك بن حبيب، ولقد كان انصرف إلي الأندلس وجمع علمًا عظيمًا، له مؤلفات في الفقه والتاريخ و الآداب منها الواضحة، والجوامع، فضل الصحابة، غريب الحديث، تفسير الموطأ، حروب الإسلام، المسجدين، وغير ذلك من كتبه المشهورة .(ابن الفرضي، ٢٠٠٨، ص ٣٦٠). ولقد قيل عنه :إنه أفقه من يؤخذ عنه علم، ولقد رؤي أنه كان يخرج من المسجد وخلفه ثلاثمائة بين طالب حديث، وفرائض، فقه، وإعراب (ابن فرحون المالكي، دت، ص ٩). وأيضًا هناك محمد بن عبد السلام الخشني رحل إلي العراق وغيرها من البلدان وكان من شيوخه محمد بن المغيرة، ومحمد بن وهب المسعري صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، وعنهما أخذ كتب أبي عبيد وأدخلها الأندلس، ولقي في رحلته أئمة اللغة كالسجستاني والرياشي والزيادي، فأخذ عنهم كتب اللغة رواية الاصمعي. ولقد ألّف في شرح الحديث كتاب فيه من الغريب علم كثيرًا (ابن الفرضي، ٢٠٠٨، ص ٢٣). قاسم بن ثابت هو من أهل سرقسطة وسمع من أبيه وجده، وألف كتاب يسمي " الدلائل "، وقيل عن هذا الكتاب أنه بلغ فيه الغايتين: الإتقان والتجويد. (ابن الفرضي، ٢٠٠٨، ص ١٥٥) وزيد بن الربيع بن سليمان الحجري المعروف بزيد البارد، وكان له حظ من العربية واللغة، وكان حسن الظبط بالكتب متقنا لها، وجمع بين الأبواب في كتابه الأخفش واقتدي الناس به (الزبيدي، ٢٠٠٨ ص ٢٨٥).

٢- الحركة اللغوية في الأندلس في القرن الرابع الهجري (مرحلة الغلبة)

إذا بدأنا الحديث عن القرن الرابع الهجري سياسيًا فإننا بصدد التحدث عن فترة حكم عبد الرحمن الثالث– الناصر– (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ / ٩١٣–٩٦١ م) وابنه الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ –٣٦٦ هـ / ٩٦١–٩٧٧ م) والدولة العامرية التي أقيمت علي يد الحاجب المنصور بن أبي عامر من (٣٦٦ –٣٩٩ هـ / ٩٧٨ –١٠٠٩ م). فلقد بلغت الأندلس ذروة مجدها السياسي والحضاري في هذا القرن وانتقلت من مجرد إمارة إلي خلافة، وأصبحت قرطبة دار الخلافة وقبلة للناظرين من الناحية السياسية والحضارية، وبذلك أصبحت قرطبة والزهراء والزاهرة تعتبر نموذج راقي لما بلغته المدنية في شكلها المادي، وكان هذا يتطلب اهتمام بالناحية الثقافية حتي تكتمل الصورة الحضارية للدولة. وسوف نري أن هذا القرن تميز بنهضة عامة في نواحي العلم أكثر مما تميز به القرن السابق(مطلق، ١٩٦٥، ص ٥٤ –٥٥).

١/٢ عناية الأندلسيين بالكتب و إنشاء المكتبات

في عصر الخلافة كانت الحاجة ماسة إلي الكتب والتآليف العلمية، وذلك نتيجة ازدهار الحركة العلمية وإقبال الأندلسيين علي التعليم، وكانت قرطبة تحتل الصدارة من الازدهار العلمي، فكان أهلها أكثر أهل الأندلس اهتماماً بالكتب، ويقول فيها المقري في نفح الطيب " وأهل قرطبة أشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة حتي أن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفه يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس إلا أن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به (المقري، ١٩٦٨، ص ٤٦٢)". ومن دلائل عناية الأندلسيين بالكتب ما ذكره أحد العلماء القرطبيين ويدعي الخضرمي قال: أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقبّ وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء إلي أن وقع وهو

بخط جيد وتسفير مليح، ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد في ثمنه، فيرجع إلي المنادي بالزيادة علي، إلي أن بلغ فوق حده، فقلت له: يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتي بلّغه إلي ما لا يساوي، قال: فأراني شخصا عليه لباس رياسة، فدنوت منه وقلت له: أعز الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت الزيادة بيننا فوق حده، فقال لي: لست بقيه ولا أدري ما فيه، ولكني أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لا تجمل بها وبين أعيان البلد، وبقي فيها موقع يتسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد أستحسنه ولم أبالِ بما أزيد فيه، والحمد لله علي ما أنعم به من الرزق فهو كثير، قال الخضرمي فأحرجني وحملني علي ما ان قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيرا إلا عند مثلك يعطي الجوز من لا عنده أسنان وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلا وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه. (المقري، ١٩٦٨، ص ٤٦٣) ونلتمس من هذا الأهمية العظيمة التي كانت عليها الكتب، وأنه كان يوجد أسواق خاصة بها يتم فيها البيع والشراء، هذا بالإضافة إلي الحس الفني الرفيع الذي صاحب هذه الحركة العلمية من اهتمام بالخط وتجليد الكتب. ويأتي في مقدمة من اهتم بجمع الكتب الخليفة الحكم المستنصر، فقيل عنه: إنه لم يسمع الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمم بها، وقام بجزل المنح والعطايا علي طلاب العلم مما حبب الناس في طلبه، ولم يتوقف جزل العطايا علي طلاب العلم والفقهاء من داخل الأندلس، بل امتد للأمصار النائية عنه، ومنهم أبو أسحق محمد ابن القاسم ابن شعبان بمصر، وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وغيرهما، ويذكر أيضًا أنه بعث إلي أبي الفرج الأصفهاني ألف دينار ذهبًا ، وخاطبه يتلمس منه نسخة من كتاب الأغاني الذي ألفه قبل أن ينتشر في المشرق، فأرسل إليه نسخة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق. وكان له وراقون بأقطار البلاد يختارون له غرائب التواليف، ورجال يوجههم للبحث عنها.(ابن الآبار، ١٩٨٥، ص ٢٠١، ٢٠٢) فنستنبط من هذا النهضة العلمية والاهتمام بالكتب في عصر الحكم المستنصر فهكذا تكونت مكتبته علي مكتبة القصر التي شملت ما جمعه أسلافه، ومكتبة أخيه محمد الذي ورثه بعد وفاته، ومكتبته الخاصة التي جمعها من كل حدب وصوب، حتي بلغ عدد كتبه ٤٠٠ ألف مجلد علي أصدق الروايات.(حامد الشافعي دياب، ١٩٩٨ م، ص ١١١.) ويقول الزبيدي في مقدمة كتابه طبقات النحويين واللغويين: إنه قد ألف هذا الكتاب بناء علي رغبة الخليفة الحكم المستنصر وبناء علي توجيهاته في الكتابة (الزبيدي، ١٩٨٤ ص ١٨). وقام الحكم أيضًا باستقدام العلماء المشارقة إلي الأندلس في خطوة لإثراء الحياة العلمية والفكرية، ومن أهم من أتي للأندلس كان أبو علي القالي (الحميدي، ٢٠٠٨، ص ٢٣١) وهو إسماعيل ابن القاسم، ولد بمنازجرد(الحموي، ١٩٧٧، ص ٢٠٢) وأقام في بغداد ٢٥ عامًا ثم خرج منها قاصداً المغرب ثم وصل إلي الأندلس عام ٣٣٠ هـ في أيام عبد الرحمن الناصر، واهتم به الحكم المستنصر وحظي عنده وله تواليف مشهور منها كتاب النوادر، وذيل النوادر (ابن خير الأشبيلي، ١٩٩٨ م، ص٢٩١-٢٩٢) ، كتاب فعلت و أفعلت ، كتاب أفعل من كذا، المقصور والممدود، البارع في اللغة، كتاب الإبل ونتاجها وجميع أحوالها، وحلي الإنسان والخيل وشياتها، وكتاب مقاتل الفرسان، وتفسير القصائد والمعلقات وتفسير إعرابها ومعانيها(ابن خير الأشبيلي،١٩٩٨ م،ص٣١٤-٣١٥-٣١٦) ، ولهجرته أثر كبير في إثراء الحياة اللغوية في الأندلس وخاصة في قرطبة والزهراء، وكان يلقي درسه الأسبوعي كل خميس علي طلابه في الزهراء، وكان رمزًا وقيمة عالية في نفوس طلابه، و زاد من ذلك ما جلبه معه من كتب دواوين الشعر الجاهلي والإسلامي المحققة والمقروءة علي العلماء. وكل هذا يشير إلي أن ابا علي قد زاد من رسوخ اللغة العربية و الموروث العربي، وأتاح للطلاب دراسة منظمة وقريبه المتناول لكتب كانوا يرحلون إلي المشرق لقراءتها علي العلماء.

٢/٢ جهود علماء الأندلس في نهضة العلوم اللغوية في عهد المنصور بن أبي عامر

وبعد ما قام به الحكم المستنصر في إثراء الحياة اللغوية والفكرية، نذكر المنصور ابن أبي عامر الذي لم يكن مقصرًا في تشجيع النشاط الثقافي، فكانت له مكتبة كبيرة خصصت له وولده من بعده وكان يقوم بالنظر فيها والإشراف علي محتوياتها العلامة الوراق محمد بن عبد الرحمن المعمر اللغوي القرطبي (٤٢٣هـ / ١٠٣١م) وكان لمهارته في الخط وشئون الوراقة أثرّ في معرفته الجديدة بشئون الكتب

وصيانتها وإصلاحها، فكان يقوم بفحصها ويقابل بين نسخها، هذا بالإضافة إلي براعته في التاريخ فقد ألف مُصَنَّفًا في تاريخ العامريين (خوليان ريبيرا، ، ١٩٥٩، ص ٧٤.) .

اختلف اهتمام المنصور بن أبي عامر عن الخليفة الحكم المستنصر في اهتمامه بالعلوم، ففي حين كان الخليفة يهتم بشتي أنواع العلوم العقلية والنقلية، نجد أن المنصور اهتم بالعلوم الدينية ذات الصبغة الأدبية. ونجد أنه قام باستخراج كتب الفلسفة والمنطق من مكتبة الخليفة المستنصر وقام بإحراق الكتب علي الملأ. فيقول ابن صاعد في كتاب الطبقات: " وعمد أول تغلبه عليه (هشام المؤيد ابن الحكم) إلي خزائن أبيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها، وأراد ما فيها من ضروب التآليف بمحضر خواص من أهل العلم بالدين، وأمرهم بإخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الأوائل، حاشا كتب الطب والحساب. فلما تميزت في بيان الكتب المؤلفة في اللغة والنحو والأشعار والأخبار والطب والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم والمباحثات عند أهل الأندلس، إلا ما خلت منها في أثناء الكتب، وذلك أقلها، وأمر بإحراقها وإفسادها فأحرق بعضها، وطرح بعضها في آبار القصر وهيل عليها التراب والحجارة وغيرت بضروب من التغاير. وفعل ذلك تحببًا إلي عوام الأندلس وتقبيحًا لمذهب الخليفة الحكم عندهم، إذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة بألسنة رؤسائهم، وكان كل من قرأها متهما عندهم بالخروج من الملة ومظنون به الإلحاد في الشريعة (بن صاعد، ٩٠١٢ ، ص ٦٦).

وكان الصاعد بن الحسن الربعي(ابن بسام، ١٩٩٧، ص ٣٩٠) اللغوي يمثل– في أيام المنصور ابن أبي عامر– ما كان يمثله القالي في عهد الحكم المستنصر، فيقول عنه الحميدي أن أصله من الموصل ودخل الأندلس في عهد الخليفة الحكم بن هشام، ويقول: إنه كان عالم باللغة والأخبار والآداب، حسن الشعر، طيب المعاشرة، فأكرمه المنصور ابن أبي عامر وزاد الفضل عليه (الحميدي، ٢٠٠٨، ص ٣٤٥). ولقد ألف صاعد كتابًا أسماه " الفصوص " علي مثل " نوادر ابن أبي علي القالي "، وله كتب أخري مثل كتاب الهجفجف، وكتاب الجواس الذي كان المنصور ابن أبي عامر مغرمًا به فكان يقرأ عليه كل ليلة شيء منه(القفطي،١٩٨٦ ، ص ٨٥.).لم يثري صاعد الحياة اللغوية في الأندلس مثلما فعل أبو القالي ؛ وذلك لأن اهتمامه الأكبر كان منصبًا علي الشعر الذي كان يلاقي استحسان الحاجب المنصور وكان يجلب عليه الأموال، حيث قال فيه الحميدي إنه " حاذق في استخراج الأموال، طيبا بلطائف الشكر " (الحميدي، ٢٠٠٨، ص ٣٤٦). ولقد أراد المنصور أن ينافس ما صنعه القالي في عهد الخليفة الحكم بصاعد البغدادي، ولكن ذلك لم يخفِ عن تلاميذ القالي الذين وقفوا لصاعد بالمرصاد، وقد ساعدهم علي ذلك خصاله السيئة وأشعاره التي كان يزيفها حتي لا تنقطع به الحجة (إحسان عباس، ١٩٦٩م ، ص ٧٧).

٣/٢ رحلة العلماء الأندلسيين إلى المشرق

ظلت رحلة العلماء إلي المشرق – طلبًا للعلم، والسماع من العلماء، ثم العودة بأمهات الكتب إلي الأندلس عاملًا أساسيًا من عوامل النهضة اللغوية وتطوير النشاط اللغوي. فنذكر عددًا من العلماء علي سبيل المثال لا الحصر منهم:

احمد بن عبد الله بن الباجي ويكني بأبي عمر(ابن ماكولا، دت، ، ص ٤٦٧) وهو من أشبيليه، وهو كان من أهل العلم عارفاً بالحديث ووجوهه، إماما مشهورا، نشأ علي العلم ومات عليه، وله رحلة إلي المشرق لقي فيها العديد من الشيوخ وقيل عنه أنه يحفظ غريب الحديث لأبي عبيد وابن قتيبة. وقيل عنه أنه كان إمام عصره وفقيه زمانه وتوفى عام ٣٣٢ هـ / ٩٩٤ م (ابن بشكوال ، ٢٠١٠، ، ص ٤٣) .

محمد بن يحيي الرباحي(السيوطي، ١٩٦٥، ص ٢٦٢.) رحل إلي المشرق ولقي أبا جعفر النحاس، وحمل عنه كتاب سيبويه رواية، ولازم علاّن وناظره، وقدم إلي قرطبة ولزم التأديب بها في داره، ولم يكن عند مؤدبي العربية ولا عند غيرهم من عني بالنحو كبير علم حتي أتي محمد بن يحيي، حيث أن المؤدبين كانوا يأخذون علي عاتقهم مهمة تقريب المعاني ومحاولة إفهامها للمتأدبين، فلم يتكبدوا عناء دراسة دقائق اللغة العربية وغوامضها، وكانوا لا ينظرون إلي إمالة ولا إدغام ولا تصريف ولا أبنية ، وكان محمد بن يحيي يقوم بتدريس كتاب سيبويه

عن طريق المناظرة، مما فتح المجال للأندلسيين علي طريقة جديدة للتأديب حيث أن الأندلسيين كانوا بعيديين عن أصول المناظرة، وبهذا فإن الرباحي كان معلما هاما في تاريخ اللغة والنحو في الأندلس ولقد توفى عام ٣٥٨هـ / ٩٦٩م (الزبيدي، ١٩٨٤، ص ٣١١).

ورحل عبد السلام بن السمح بن نابل الهواري إلي المشرق وسمع بمكة من الأعرابي، وفي مصر سمع من أبي جعفر بن النحاس وروي عنه تأليفه في إعراب القرآن وفي المعاني والناسخ والمنسوخ، وكان أول من أدخل هذه الكتب إلي الأندلس، وأبو علي الأمدي اللغوي، والعباس بن أحمد الأزدي، وأبو النجا الفرائضي، وسمع بجدة من الحسين بن حميد النجيرمي " نوادر " علي بن عبد العزيز و " موطأ القعنبي "، وقرأت عليه كتاب " الأبيات لسيبويه " تأليف بن النحاس، وكتاب " الكافي " في النحو ، ولقد توفى عام ٣٨٧ هـ /٩٩٧ م (الذهبي، ٢٠٠٣، ص ٦١١).

ونذكر أيضا أحمد بن سهل بن محسن الأنصاري(الذهبي، ٢٠٠٣، ص ٦٤٤) له رحلة إلي المشرق ، روي فيها عن القاضي جعفر بن الحسن قاضي المدينة، وعن أبي بكر الأدفوي، وأبي الطيب ابن غلبون، وقيل عنه أنه كان خيِّرًا فاضلًا، ضابطًا لحرف نافع وله فيه تصنيف وتوفى عام ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م (ابن بشكوال، ٢٠١٠، ، ص ٤٠).

وذكر البير مطلق أنه حاول أن يحصر تراجم اللغويين الذين وردت أسماؤهم عند ابن الفرضي وابن بشكوال وابن الآبار، فنجد أن من ترك الأندلس في رحلة إلي المشرق هذه الفترة كانوا أقل بكثير من عدد الذين عملوا في الحقل اللغوي دون أن يغادروا الأندلس، وهذا يدل علي أن الأندلس أصبحت قادرة علي أن تخرج أعلامًا في اللغة والنحو دون حاجة للاعتماد علي العلماء المشرقيين(مطلق، ١٩٦٥، ص ٧٣.) ، فنجد أن الزبيدي – وهو من أئمة اللغة العربية – ألف في النحو كتابًا أسماه " الواضح "، واختصر كتاب " العين " اختصارا حسنا وجمع " الأبنية "، وفي " لحن العامة " وفي " أخبار النحويين " وله كتباً مشهورة وتوفي عام ٣٨٠ هـ /٩٩٠ م.(الحميدي، ٢٠٠٨، ص ٧٢) وابن القوطية محمد بن عمر بن عبد العزيز، كان إمامًا في العربية، وقد سمع من قاسم ابن أصبغ وطبقته(الحميدي، ٢٠٠٨، ص ١١٧.). وكان عالمًا في النحو وله كتب فيه مثل " تصاريف الأفعال " و " المقصور والممدود "(ابن الفرضي، ٢٠٠٨، ص ١٠٣).

وبهذا نري أن أكبر علماء اللغة في الأندلس وعلي الرغم من هذا لم يغادروا الأندلس قط، ولقد ساعد وجود القالي طلبة العلم علي الاستغناء عن رحلة طلب العلم؛ حيث إنه كان بمثابة خلاصة العلم اللغوي المشرقي. هذا بجانب العوامل السياسية المتمثلة في نشأه الدولة الفاطمية في مصر والمغرب مما جعل حريه السفر عبرهم إلي العراق مقيدة قليلًا (مطلق، ١٩٦٥، ص ٧٣).

٤/٢ دور المؤدبين في القرن الرابع الهجري

وظل مؤدب العامة يؤدي دوره المنوط به كما كان في العهد السابق، لكن ظهرت عوامل جديدة جعلت الحرص أزيد علي تأديب طبقة الخاصة ويرجح أنها عوامل اقتصادية، فنري مثلا الزبيدي انتدبه الحكم المستنصر لتأديب ابنه هشام المؤيد ، ومحمد بن خطاب النحوي الأزدي(المراكشي، ١٩٧٣، ص ١٨٠) والذي يقول عنه الحميدي أنه كان من الأدباء المشهورين والنحاة المذكورين، وكان يختلف إليه في علم العربية أولاد الأكابر وذوي الجلالة(الحميدي، ٢٠٠٨، ص٨٣.) وبشار الأعمى النحوي(الضبي، ١٩٦٥، ص ٢٥٠) وهو شيخ من شيوخ الأدب، وله مناظرة مع صاعد اللغوي، وقام بتأديب أبا جعفر بن عباس الوزير بألمرية جلبه أبوه إليه.(ابن الآبار، ١٩٩٥، ص ١٨٦) وحسين بن وليد بن نصر(الذهبي، ٢٠٠٣، ص ٦٦١) المعروف بابن العريف، كان نحويًا عالمًا باللغة العربية، رحل إلي المشرق وسمع في مصر من أبي الطاهر القاضي، والحسن بن رشيق وغيرهما، وبعد عودته إلي الأندلس استأدبه المنصور لبنيه وقربه منه وتوفي بطليطلة عام ٣٩٠ هـ /١٠٠٠ م (ابن الفرضي، ٢٠٠٨، ص ١٧١). وكان من الممكن أن يقدر أجر المؤدب بالعام و يقسم علي حسب الاتفاق أجرًا أو هدايا، أو أن يتعهد المؤدب علي أجر محدد مقابل أن يدرس للطالب فرع من فروع العلوم سواء كانت عقلية أو نقلية .

٥/٢ ظهور الدارس اللغوي المتخصص

ثم ظهر علي الساحة العلمية في الأندلس الدارس اللغوي المتخصص؛ حيث أن قديمًا كانت دراسة اللغة العربية والنحو تعد جزءًا من دراسة الثقافة الدينية، كأمثال العلماء قاسم ابن الأصبغ والخشني، ولكن مع ثبات أركان اللغة العربية والإسلام أصبحت العلوم اللغوية مستقلة بذاتها بعيدًا عن العلوم الدينية وفيها علماء لهم فيها مؤلفات وأصبحنا نستطيع أن نشير في القرن الرابع الهجري إلي طبقة من المؤدبين والعلماء المتخصصين في العلوم اللغوية فقط (مطلق ،١٩٦٥، ٧٤).

٦/٢ المناظرات اللغوية

وهو مجال جديد من مجالات الدراسات اللغوية لم يتسّنَ ظهوره إلا في القرن الثالث الهجري، وهذه المناظرات هي أشبه بالمناقشة العلمية، ولعل أشهر مناظرة حدثت في هذا القرن كانت بين صاعد اللغوي وبين فاتن الحكمي الخادم والذي يقول عنه المراكشي في الذيل والتكملة: " أنه كان في علم اللسان واللغة أوحد لا نظير له، وأقر له بذلك أبو بكر الزبيدي وعول عليه المنصور بن أبي عامر في مناظرة صاعد اللغوي فقطعه وازداد به ابن أبي عامر عجبًا به (المراكشي، ١٩٧٣، ص ٥٢٠) ، ولا ننسي أن محمد ابن يحيي الرباحي– وهو من أدخل كتاب سيبويه إلي الأندلس–كان يعقد مناظرة في كتاب سيبويه كل جمعة من الأسبوع، وغيرها من شؤون العلم.(الزبيدي، ١٩٨٤، ص ٣١١)

ويتميز هذا العصر بغزارة الإنتاج في مجال التأليف في العلوم اللغوية، فسبق أن ذكرنا كتبًا قام الزبيدي بتأليفها مثل لحن العامة، ومختصر كتاب العين وطبقات اللغويين والنحويين الذي استعنت به كثيرًا في بحثي هذا، والواضح في النحو. وللقالي كتب البارع في اللغة، "المقصور والممدود"، و"النوادر والأمالي"، و"ذيل النوادر"، و "فعلت و أفعلت". وابن القوطية كتب: "الأفعال"، و"شرح صدر أدب الكتاب"، و" المقصور والممدود".(مطلق، ١٩٦٥، ص ٨٠) سعيد المعافري بسط لكتاب الأفعال الذي ألفه ابن القوطية.(ابن بشكوال، ٢٠١٠، ص ٢٩١.) وصاعد له كتاب "الفصوص" علي مثل " نوادر ابن أبي علي القالي "، وله كتب أخري مثل كتاب "الهجفجف"، وكتاب "الجواس" (القفطي، ١٩٨٦، ص ٨٥) ، سعيد بن القزاز وكان له كتابًا للرد علي صاعد البغدادي في مناكير كتابه في النوادر والغريب المسمي بالفصوص، وأكثر التحامل عليه فيه، (ابن بشكوال، ٢٠١٠، ص ٢٨٥.) وغيرهم.

كل هذه المؤلفات توضح إلي أي حد كان التأليف اللغوي في الأندلس متأثرًا إلي حد كبير بالتأليف اللغوي في المشرق، محاكيًا له، أو ناقدًا لما حواه ، أو تلخيصًا لما جاء فيه، وهذا لا يجعلنا نقلل من إسهامات الأندلسيين في هذا المجال بل يجعلنا ننظر إلي أن التأليف كان علي أسس سابقة سواء كان في المشرق أو في الأندلس، فكتاب العين وجمهرة ابن دريد يستثيران إلي التأليف " البارع " وكتاب " لحن العامة " لأبي حاتم السجستاني حفز الزبيدي إلي تأليف كتاب يحمل الاسم ذاته، وكتاب " فعلت و أفعلت " إنما أساسه كتاب يحمل الاسم ذاته للزجاج (مطلق، ١٩٦٥، ص ٨٣.).

وبنظرة عامة إلي هذا القرن فإننا نجد أن هناك عدة عوامل تضافرت ليظهر تفوق اللغة العربية علي اللاتينية، بداية من اهتمام الخلفاء في عصر الخلافة الأموية ؛ حيث كان أكثرهم تأثيرًا الحكم المستنصر الذي اهتم اهتمامًا كبيرًا بالكتب والمكتبات العامة والخاصة، وحاول اقتناء كل ما هو جديد في مجال الكتب(ابن الآبار، ١٩٨٥، ص ٢٠١، ٢٠٢). وأيضًا المنصور ابن أبي عامر – في صدر الدولة العامرية – واهتمامه بعلماء أمثال صاعد البغدادي ، فكان لاهتمامهم إثراء كبيرًا للغة العربية، بالإضافة إلي تطور دور المؤدبين في هذا القرن، وإذا رجعنا إلي العوامل التقليدية من هجرة العلماء للمشرق فسوف نجد أن هذا العامل قد قَلّ بشكل كبير بعد مجيء القالي إلي الأندلس وإحداثه صقل للذوق الأندلسي و تطورًا كبيرًا في الوسط اللغوي(خوليان ريبيرا، ، ١٩٥٩، ص ٧٤.) . فنستطيع أن نقول بكل أريحية أن هذا القرن قد أوجد اختلافًا كبيرًا وتأثيرًا لغويًا عميقًا في أهل البلاد الأصليين، وأظهر تفوقًا علي اللغة اللاتينية.

٣ ـ الحركة اللغوية في الأندلس في القرن الخامس الهجري (مرحلة التفوق)

١/٣ نظرة إلي الحالة السياسية في القرن الخامس الهجري

لقد سبق وذكرنا إلي ما كانت عليه الخلافة الأموية والدولة العامرية من مجد سياسي وعمران داخلي ونهضة ثقافية، ولقد استمرت هذه النهضة حتي تولي عبد الرحمن شنجول الحجابة بعد وفاة أخيه عبد الملك المظفر (٣٩٢ – ٣٩٦ هـ / ١٠٠٢ – ١٠٠٦ م)، فكان عبد الرحمن يريد أن تظل السلطة كلها في يده، وأن يتنازل له الخليفة الأموي هشام المؤيد ابن الخليفة الحكم المستنصر عما بيده من صلاحيات (ابن عذاري، ١٩٨٠، ص ٤٣).و لم يكن الأمويون ليوافقوا علي هذا، فقام هشام بن عبد الجبار بقرطبة، وتلقب بالمهدي وأشاع أن هشام المؤيد قد مات، و اتخذ جند من العامة وآثرهم علي عبيد العامرية وعلي الطوائف البربرية. (ابن عذاري، ١٩٨٠،ص ٥١) وبعث هشام بن عبد الجبار بقوات أخري قامت بهدم مدينة الزاهرة التي بناها المنصور أبن ابي عامر، فسقطت الدولة العامرية ، وسقط معها الخليفة هشام بن الحكم ونَصّب محمد بن هشام بن عبد الجبار نفسه خليفة للأمويين واستعاد سيطرتهم علي مجريات الأمور(ابن عذاري، ١٩٨٠، ص ٦٦). وبعد ذلك انشق الأمويون علي أنفسهم، وثار فريق مع المهدي بقيادة سليمان الذي تلقب بالمستعين، وكان أكثر الملتفين حول سليمان هم البربر متحالفين مع شانجة بن غرسيه الذي أمدهم بجيش كبير من النصارى، فحاصر الجيشان المتحالفان قرطبة، وانتصر سليمان بعد معارك وخرب هو وجيوشه قرطبة، وفرّ ابن عبد الجبار ثم عاد بجيش جديد يحاول استعادة المدينة (ابن الخطيب، ٢٠٠٣ ،ص ١٠٢) وظل الأمر في قرطبة لسليمان حتي استطاع علي بن حمود أن يأخذها منه عام ٤٠٦ هـ /١٠١٥م، وأقام دولة بني حمود بقرطبة (ابن الخطيب، ٢٠٠٣،ص ١١٦).

ورأينا المحاولات العديدة التي حاولها الأمويون لاستعادة السيطرة علي الأندلس وإرجاع الخلافة الأموية، ولكن الفتنة البربرية قد قضت علي كل أمل في ذلك، فبدأ عهد جديد تمامًا علي الأندلس، فكل رجل رأي في نفسه القوة أعلن استقلاله، وسُميت هذه المرحلة في التاريخ الأندلسي بعصر ملوك الطوائف.

ففي قرطبة قامت دولة بني جهور و التي أسسها أبي الحزم ابن جهور بعد اتفاق الجماعة علي توليه بعد أن قاموا بمحو رسم الخلافة الأموية لعدم الضلوع في أهل بيتها(ابن الخطيب، ٢٠٠٣ ، ص ١٤٠) .

وفي أشبيليه قامت دولة بنو عباد، وكان مؤسس مجدهم إسماعيل بن عباد والذي ولاّه المنصور خطة القضاء، وظل محافظًا علي إشبيليه في وقت الفتنة ثم ولي ولده أبا القاسم القضاء بعد أن أصابت عيناه مرضًا، فحمي أبا القاسم مدينة إشبيليه من سطوة البربر الذين اقتطعوا أحوازها. (ابن الخطيب، ٢٠٠٣ ، ص ١٤٧)

وبني هود بسرقسطة وأقامها سليمان محمد بن هود الجذامي الملقب بالمستعين، وكان مدة الجماعة بالأندلس من كبار الجند بالثغر الأعلى إلي حين الفتنة الشاملة. فأستولي علي مدينة لاردة وماردة وأنظارهما في غرة محرم ٤٣١ هـ /١٠٣٩ م (ابن الخطيب، ٢٠٠٣ ، ص ١٦٧)

دولة ذي النون بطليطلة، ويقول المؤرخون: إن بني ذي النون هؤلاء الملوك كانوا من البربر وكانوا يخدمون الدولة العامرية، وجدهم الذين ينسبون إليه هو زنون، وكانوا قد ترقوا في المناصب في عهد المنصور محمد ابن أبي عامر واستقروا في كورة شنتمرية . وبعد أن ضُبط أمر طليطلة في عهد عبد الرحمن بن مثيوة وأساء إلي أهلها، فخلعوه واتفقوا علي أن يحملوا إلي ابن ذي النون، فوجه إليهم من شنتمرية ابنه إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذنون (ابن الخطيب، ٢٠٠٣ ، ص ١٧٥)

دولة بنو الأفطس في بطليوس، وهم كانوا من البربر وكان جدهم المعروف بابن الأفطس أصله من قبيلة مكناسة وكان معروفًا بالعقل والسياسة والدهاء، فعند حدوث الفتنة استولي فتي من عبيد الحكم يدعي سابور علي بطليوس وشنترين وجميع الثغر الجوفي، وكان ابن الأفطس يدبر له أمره فلما مات ترك ولدين لم يبلغا الحلم فقام مقامه عبد الله بن محمد بن مسلمة ابن الأفطس(ابن الخطيب، ٢٠٠٣ ، ص ١٨٠).

دولة بني صمادح الأمراء بألمريه كان جدهم محمد بن عبد الرحمن بن صمادح ويقول ابن حيان: يحيي بن أحمد صاحب مدينة وشقة Huesca[1] (ابن غالب ١٩٥٥،ص ٢٨٧) وأعمالها، وطلعت نباهته في أيام المؤيد هشام. ثم أكد له ذلك سليمان بن الحكم فشق له الوزارة وأقضاه علي عمله ، تحارب علي ملك وشقة مع ابن عمه منذر بن يحيي وانتهي الأمر باستسلام ابن صمادح لكثرة جند منذر بن يحيي (ابن الخطيب، ٢٠٠٣ ، ص ١٨٣).

دولة بني طاهر بمرسية كان هذا البيت بمرسية بيت أعلام وحملة سيوف وأقلام، تفرقت الجماعة بقرطبة وخرجت الحادثة علي الدولة العامرية، ولجأ فتيانها إلي شرق الأندلس واستقر منهم خيران العامري بمرسية ثم انزعج عنها حسبما يتبين من موضعه، وتغلب عليها الرئيس أبو عبد الرحمن ابن طاهر(ابن الخطيب، ٢٠٠٣ ، ص ١٩١).

دولة بني قاسم في مدينة البُونت[2](الحموي، ١٩٧٧، ص ٤٩٨) وأسسها نظام الدولة عبد الله ابن قاسم الفهري، ثم ولي بعده محمد ابنه الملقب بيمن الدولة، واستمرت في أيامه فيها في جملة ثوار الأندلس وأولي طوائفها الي سنة أربع وثلاثين (ابن الخطيب، ٢٠٠٣ ، ص ١٩٦).

دولة بنو زيري الصنهاجيون وهم من قاموا بمساندة سليمان بن الحكم للاستيلاء علي قرطبة، وعاثوا فيها وفي الأندلس فسادًا ونهبًا، ولما استقر صاحبهم في الخلافة استأثر زاوي بن زيري بكورة البورة وجيان (ابن الخطيب، ٢٠٠٣ ،ص ٢٠٩).

وغيرها من الدول التي قد قمت بذكر أشهرها. وتختلف هذه الدول فيما بينها قوة وضعفًا، فكانت كل دولة لديها جيش تنفق عليه خوفًا من بغي دولة مجاورة عليها، وكانت كل دولة تقوم بدفع الضرائب إلي ألفونس السادس (الأذفونش) و كان أقوي من كل دولة علي حدة وهم من جراء التنافس لا يجتمعون لمواجهته، كل هذه الأموال المدفوعة كانت تؤخذ من الرعية كضرائب فتثقل كاهلهم. إذا أردنا أن نقسم هذا العصر فسوف يُقسّم علي النحو التالي:

المرحلة الأولي: وهي المرحلة التي حاولوا فيها إعادة إحياء الخلافة الأموية وانتهت هذه المرحلة عام ٤٢٠ هـ /١٠٣٠ م.

المرحلة الثانية: مرحلة البناء الداخلي لكل دولة علي حدة، خاصة الدول الكبرى أمثال بني عباد وبني الأفطس وبني هود وبني جهور. وانتهت هذه المرحلة بسقوط طليطلة مركز بني ذي النون في أيدي الأذفونش عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الخطر في الأندلس، فسقوط طليطلة قد يتبعه سقوط باقي الممالك؛ حيث أن طليطلة تعتبر المفتاح الشمالي للأندلس. (ابن الخطيب، ٢٠٠٣ ، ص ٢٢١). وكان نتيجة لذلك استدعاء المرابطيين بقيادة يوسف بن تاشفين عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م. وكانت معركة الزلاقة الفاصلة التي استطاعت الحفاظ علي الأندلس من أطماع الشماليين، ولكن ما لبث يوسف ابن تاشفين أن طمع في ملك الأندلس لنفسه خاصة بعد ما رآه من تنابذ وخلافات بين أمراء الطوائف، فاستولي عليها الواحدة تلو الأخرى (ابن الخطيب، ٢٠٠٣ ، ص ٢٢٢).

وأثرت الفتنة البربرية علي كل نواحي الحياة في الدولة الأندلسية، فنجد أن البربر قد قاموا بتخريب قرطبة وقصور بني أمية كما سبق الذكر، ونجد أيضًا ذكر لقلة الأمان والهلع اللذان أصابا الأندلسيين بعد تغلب البربر، وترصدهم للحرم و دور العبادة بالهتك والسلب، فطلب العامة من فقهاء المالكية في تعجيل صلاة العتمة قبل موعدها خوفًا من القتل، حيث كان متلصصة البربر يقفون لهم في الظلام في طرق المسجد(ابن حزم ، ١٩٧٩ م، ص ٦٧) وقضت هذه الفتنة علي الكثير من العلماء بالهجرة خارج الأندلس خوفًا من الموت والتشريد، ومن

[1] وشقة Huesca: بفتح أوله وسكون ثانيه، والقاف، بليدة بالأندلس ينسب إليها طائفة من أهل العلم منهم حديدة بن الرمل (له رحلة) وإبراهيم بن عجيس بن أسباط بن أسعد بن عدي الزيادي الوشقي كان حافظاً للفقه واختصر المدونة.

[2] البونت Alpuent: بالضم ثم السكون والتاء مثناه: بلد بالأندلس من ناحية بلنسية، ينسب إليها أبو عبد الله محمد البُنتي البلنسي الشاعر والأديب.

أبرز من قتل في هذه النكبة كان أبو الوليد ابن الفرضي صاحب كتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس عام ٤٠٠ هـ /١٠٠٩ م في أيام دخول البربر قرطبة (ابن بسام، ١٩٩٧، ص ٦١٥). ويقول ابن بشكوال عن سعيد بن محمد المعافري اللغوي– وهو من أهل قرطبة وأخذ عن أبو بكرابن القوطية، وبسط كتابه في الأفعال وزاد فيه– أنه توفي بعد الأربع مائة شهيدًا في بعض الوقائع(ابن بشكوال، ٢٠١٠، ص ٢٩١)

٢/٣ العوامل التي أثرت علي ازدهار الحركة اللغوية في الأندلس في القرن الخامس

هذا العصر يتسم بخصوصيته عن العصرين السابقين اللذين كانت تتمتع فيهما الأندلس بالوحدة السياسية والازدهار الاقتصادي و العلمي. فالعامل السياسي كان له أكبر الأثر في إحداث ارتباك في الحياة العلمية عامة واللغوية خاصة، فكما سبق الذكر حدثت هجرة للعلماء خوفًا علي حياتهم من القتل– كما حدث لابن الفرضي– او من التشريد، فمع بداية عهد أمراء الطوائف لم تصبح قرطبة أكبر مركز علمي كما كانت في عهد الدولة الأموية، فتأثرت الحياة الفكرية بها وتعرضت مكتباتها للعدوان واحتراق كتبها أو بيعها، وباع واضح العامري – حاجب الخليفة هشام المؤيد – الكتب الموجودة في مكتبة قصر الخلافة بأبخس الأثمان، وما تبقي نهبه البربر عند دخولهم عنوة(سلامة، ١٩٩٧، ٤٤٩) . ولقد نتج عن الصدام بين الأندلسيين والبربر في معركة قنتيش ٤٠٠ هـ /١٠٠٩ م بمقتل ما يزيد عن ستين مؤدبًا، فأغلقت مدارسهم، وانفضت حلقات الدرس بها(ابن بسام، ١٩٩٧ ، ص ٤٤) ، وبهذا لم تعد قرطبة حاضرة للعلم كما كانت، فأصبحت عاصمة كل مملكة من ممالك الطوائف مركزًا علميًا مستقلًا، وكان الأمير هو الراعي للحركة العلمية والثقافية في مملكته، وكان يختلف الميل الثقافي علي حسب ميل أمير المملكة، فنجد أن الميل الأدبي كان الغالب علي بلاط إشبيليه، والميل العلمي كان الغالب علي بلاطي بني ذي النون بطليطلة، وبني هود بسرقسطة. وكانت المباهاة فيما بين الأمراء حسب من يستطيع جمعه من العلماء المشهورين في مختلف العلوم. وكان العلماء ينتقلون من بلاط الأمراء بناء علي طلب الأمير أو رغبة في الدعم المالي الذي يوفره الأمراء لهم (مطلق، ١٩٦٥ ص ١٩٥).

٣/٣ علماء اللغة في بلاط أمراء الطوائف في قرطبة Cordoba

ابن الأفليلي(ابن بسام، ١٩٩٧، ق ١ م ١، ص ١٧٣ – ١٧٤) وهو إبراهيم بن محمد بن زكريا المعروف بالأفليلي، و روي عن أبيه وأبي عمر بن الحباب وأبي بكر الزبيدي وأبي القاسم أحمد بن أبان وغيرهم، ولي الوزارة للمستكفي بالله وكان حافظًا للأشعار واللغة قائمًا عليهما، عظيم السلطان علي شعر حبيب الطائي وأبو الطيب المتنبي، عُنيَ بكتب جمة "كالغريب المصنف " و " الألفاظ " وغيرهما، كان صادق اللهجة، حسن الغيب، حسن المحاضرة مكرمًا لجليسه، ولقي جماعة من أهل العلم والأدب وجماعة من مشاهير المحدثين، وتوفي عام ٤٤١ هـ /١٠٤٩ م، وصلي عليه محمد بن جهور بن محمد بن جهور(ابن بشكوال، ٢٠١٠، م ١، ص١٤٦).

ابن سيده(ابن خاقان ، ١٩٨٣ م، ص ٢٩١) علي بن إسماعيل ويكني بأبي الحسن، روي عن أبيه وأبي عمر الطلمنكي وصاعد اللغوي، وله تآليف مثل كتاب " المحكم في اللغة " وكتاب " المخصص " وكتاب " الأنيق في شرح الحماسة "(ابن بشكوال، ٢٠١٠، م ٢، ص ٣٣) ويقول عنه الحميدي أنه إمام في اللغة العربية وحافظ لها علي أنه كان ضريرًا ، فجمع في ذلك جموعًا وكان له في الشعر حظ وتصرف. وتوفي بعد خروجي من الأندلس قرابة عام ٤٦٠ هـ /١٠٦٨ م (الحميدي، ٢٠٠٨، ص ٤٥٢.).

ابن سراج(الصفدي ، ٢٠٠٠ م، ج ١٩، ص ١١١) هو عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج، مولي بني أمية وإمام اللغة بالأندلس، روي عن أبيه والقاضي يونس بن عبد الله وعن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الأفليلي وأبي سهل الحراني وأبي محمد مكي بن أبي طالب المقرئ وأبي محمد الشنتجيالي وأبي عمرو السفاقسي وأبي مروان بن حيان وغيرهم، قال أبو علي: هو أكثر من لقيته علمًا بضروب الآداب ومعاني القرآن والحديث. وقرأ عليه أبو علي كثيرًا من كتب اللغة، والغريب والأدب وقيد ذلك كله عنده، وكانت الرحلة في وقته إليه، وكان حسنة من حسنات الزمان وبقية من الأشراف والأعيان وتوفي عام ٤٨٩ هـ /١٠٩٦ م ودفن بالربض.(ابن بشكوال، ٢٠١٠، م ١، ص ٤٥٩).

في إشبيليه Sevilla

أبا الحسن علي بن محمد بن منظور القيسي، كان من أهل العلم بالقرآن والفقه والعربية، وكانت فنون العربية أغلب عليه، وتوفي عام ٤٢٢ هـ /١٠٣١ م .(ابن بشكوال، ٢٠١٠، م ٢، ص ٢٨).

الأعلم (السيوطي، ١٩٦٥، ج ٢، ص ٣٥٦) وهو يوسف بن سليمان بن عيسي النحوي، رحل إلي قرطبة حينًا من الزمان وأخذ علمه فيها من ابن الأفليلي، وأبي سهل الحراني، وأبي بكر مسلم بن أحمد الأديب، كان حافظًا للغات والعربية ومعاني الأشعار حافظًا لجميعها، حسن العناية بها، أخذ الناس عنه كثيرًا وكانت الرحلة في وقته إليه، وتوفي في إشبيليه بعد أن كف بصره في آخر عمره توفى عام ٤٧٦ هـ /١٠٨٣ م (ابن بشكوال، ٢٠١٠، م ٢، ص ٣٣٠)

أبو عبيد الله البكري(أبن الآبار، ١٩٨٥، ج ٢، ص ١٨٠) وهو عبد الله بن عبد العزيز البكري، وكان من أهل اللغة والآداب الواسعة، متقنًا لما قيده، ضابطًا لما كتبه، جميل الكتب مهتمًا بها كان يمسكها في سباني الشرب وغيرها إكرامًا لها وصيانة، جمع كتبا في نبوة نبينا عليه السلام، وأخذه الناس عنه بجانب غيره من تواليفه، وتوفي ٤٨٩ هـ /١٠٩٦ م (بن بشكوال، ٢٠١٠، م ١، ص ٣٧٦.). وكان البكري قد استقر حينًا في قرطبة، وعند صاحب قرمونة، والي صاحب ألمرية، وله أبيات من الشعر في المعتمد ابن عباد أثناء استنجاده بيوسف بن تاشفين(أبن الآبار، ١٩٨٥، ج ٢، ص ١٨٠).

أبا عبد الله محمد ابن أبي عافية النحوي(الذهبي، ٢٠٠٣، ج ١١، ص ١٢٦) ، الإمام بجامع إشبيليه، أخذ عن أبي الحجاج الأعلم، وكان من أهل المعرفة باللغة والأدب، وأخذ الناس عنه وتوفي عام ٥٠٣ هـ /١١٠٩ م (ابن بشكوال، ٢٠١٠، م ٢، ص٢٠٥).

أبا عثمان وهو سعيد بن معاوية بن عبد الجبار الأموي النحوي، وهو من أهل إشبيليه، وكان يعلم اللغة العربية والأشعار ويؤخذ ذلك عنه (ابن بشكوال، ٢٠١٠، م ١، ص ٢٩٥)

في ألمريه Almeria

ابن اللجالش وهو محمد بن أحمد بن عبد الله النحوي، رحل إلي المشرق واستوطن مكة، وأخذ عن أبي المعالي الجويني، وكريمة المروزيه، وأخذ الناس عنه هناك، وكان عالمًا في الأصول والنحو مقدمًا في معرفتهما، وله اختصار في كتاب أبي جعفر الطبري في تفسير القرآن له وتوفي عام ٤٩٠ هـ /١٠٩٧ م (بن بشكوال ، ٢٠١٠، م ٢، ص ١٩٦.).

في مرسية Murcia

ابن التياني (القفطي، ١٩٨٦، ج ١، ص ٢٩٤) وهو تمام بن غالب بن عمر اللغوي، وهو من أهل قرطبة وسكن مرسية، كان إمامًا في اللغة وثقة في إيرادها، مذكور بالديانة والعفة والورع، وله كتاب في اللغة لم يؤلف مثله اختصارًا وإكثارًا، وله كتاب جامع في اللغة سماه " تلقيح الأعين "، وتوفي بألمريه عام ٤٣٦ هـ /١٠٤٤ م (المراكشي، ١٩٧٣، ج ١، ص ٣٩٠).

أبا العباس وهو أحمد بن محمد بن أحمد، كان عالمًا باللغة والنحو والآداب، وله شرح في الغريب المصنف لأبي عبيد، وإصلاح المنطق ليعقوب، وعليه قرأ المظفر بن عبد الملك في صغره، وإليه نسب شرح أدب الكتاب أبو عبد الله بن خلصة النحوي في رسالته التي ناقض فيها أبا محمد بن السيد البطليوسي وبكته وذكر أنه أغار عليه وانتحله وهو الذي سماه بالاقتضاب، وتوفي عام ٤٦٠ هـ /١٠٦٨ م (ابن الأبار، ١٩٩٥، ج١ ، ص ٢٦.).

أبا بكر وهو الحسن بن علي بن محمد بن محمد بن عبد العزيز الطائي ويعرف بالفقيه الشاعر لغلبة الشعر عليه، كان مشاركًا في العلوم، قائلًا للشعر، وله كتاب في النحو سماه " المقنع " في شرح كتاب ابن جِنّي، وغير ذلك من تواليفه، وتوفي عام ٤٩٨ هـ /١١٠٤ م (الذهبي، ٢٠٠٣، ج ١٠، ص ٨٠٢).

في دانية والجزائر الشرقية Devia

في أيام مجاهد العامري الذي استطاع بميله إلي العلم وتشجيع العلماء أن يجمع نخبة من العامليين في الميادين العلمية فقضي ابن سيده معظم أيامه لديه، وفي مجال العلوم اللغوية نذكر:

محمد ابن عبد الرحمن بن معمر اللغوي يكني أبا الوليد، وهو كان حافظًا للغة مشاركًا في الأدب، أحفظ الناس بالكتب وعللها وألهجهم بجمعها، كان يقابل كتب محمد ابن أبي عامر المنصور وولده من بعده مثقفًا بخزنتهم الرفيعة مع تقييده لتاريخهم وأوطن الجزائر الشرقية في كنف مجاهد العامري وولي الأحكام هناك إلي أن توفي ٤٢٣ هـ /١٠٣٢ م (ابن الآبار، ١٩٩٥ا، ج١، ص ٣١٠).

أبا الفتوح وهو ثابت بن محمد الجرجاني(الصفدي، ٢٠٠٠، ج ١٠، ص ٢٨٩) ، قدم إلي الأندلس ٤٠٦ هـ /١٠١٥ م وكان مع الموفق أبي الجيش في غزوته علي سردانية، ثم جال في أقطار الأندلس، وكان إمامًا في اللغة العربية متمكنًا في علم الأدب، وأملي بالأندلس في شرح كتاب " الجمل " للزجاجي، وتوفي عام ٤٣١ هـ /١٠٣٩ م علي يد باديس بن حبوس أمير صنهاجة(سلامة ، ٢٠١٥، ص ٢٣٧ . ٢٨٣).

في طليطلة Toledo

أبا اسحق وهو إبراهيم بن لب بن إدريس التجيبي من اهل قلعة أيوب واستوطن طليطلة، له نفوذ في علم العربية، وأدب بها في طليطلة، وذكر ابن عزيز أنه جلس لإقراء الأدب والنحو في سقيفة الجامع يعني بطليطلة مدة، وكان متقدمًا في علم العدد والفرائض والهندسة، ثم ذكر لأبي الوليد الوقشي وقد تعرف علي حرصه علي علم الهندسة فقال له: خذ فيه إن شئت. فقرأ عليه كتاب إقليدس وأحكمه وتدرج منه إلي قراءة غيره فبرع في ذلك واجتمع الناس إليه، وأخذ في إقرائه وترك إقراء العربية إلي أن توفي عام ٤٥٠ هـ /١٠٥٨ م (ابن الآبار، ١٩٩٥، ج ١، ص ١١٨.).

الأصفر وهو سعيد بن عيسي بن أبي عثمان، كان عالمًا باللغة والنحو والأشعار، وله شرح في كتاب " الجمل "، توفي سنة ٤٦٠ هـ /١٠٦٨ م (ابن بشكوال،٢٠١٠، م ١، ص ٣٠٢).

الوشقي وهو هشام بن أحمد بن خالد بن هشام الكناني(ابن دحية ، ١٩٥٤ م ، ص ٢٢٣) ، أخذ عن أبي عمر الطلمنكي، وأبي محمد بن عباس الخطيب، وأبي عمرو السفاقسي، وأبي عمرو بن الحذاء، وأبي محمد الشنتجيالي، وقيل عنه أنه أعلم الناس بالنحو واللغة ومعاني الأشعار وعلم الفروض وصناعة البلاغة، بصير بأصول الاعتقادات وأصول الفقه، واقف علي كثير من فتاوي فقهاء الأمصار، نافذ في علم الشروط والفروض وتوفي عام ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦م (ابن بشكوال، ٢٠١٠، م ٢، ص ٢٩٧).

في سرقسطة Zaragoza

أبا عمر وهو أحمد بن كوثر النحوي، كان وقفًا علي سرقسطة ومدائن ثغرها يتجول بها، ويعلم بها وعنده تعلم رؤساء بني هود، وتوفي عام ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٩م (ابن الآبار، ١٩٩٥، ج ١، ص ٢٥) .

في بطليوس Badajoz

أبا الحزم وهو الحسن بن محمد بن يحيي بن عليم، أخذ في بطليوس عن أبي بكر بن محمد بن موسي الغراب كثيرًا وعن غيره من الشيوخ، وكان مقدمًا في علم اللغة والأدب والشعر، وله شرح في كتاب " أدب الكُتَّاب " لابن قتيبة، و أخذ الناس عنه(ابن بشكوال، ٢٠١٠، م ١، ص ١٩٧) .

٤/٣ المكتبات في القرن الخامس الهجري

في أثناء عهد الفتنة البربرية قام البربر بسرقة القصور والمكتبات وحرقوها وقاموا ببيع ما فيها بأبخس الأثمان، فنري أن مكتبة القاضي عبد الرحمن بن فطيس . والتي كانت تنافس مكتبة الحكم المستنصر لما فيها من كتب ولعناية القاضي بها . دام إخراج الكتب

وبيعها منها عامًا كاملًا وأنه اجتمع في ثمنه أربعون ألف دينار قاسمية (ابن بشكوال، ٢٠١٠، م ١، ص ٤٠٢). ونجد أيضًا هروب طلاب العلم و الأساتذة من العاصمة إلي غيرها من المدن مؤسسين بذلك مراكز تعليمية جديدة، ناشرين أيضًا هواية جمع الكتب في البلاد التي لجأوا إليها والتي أصبحت فيما بعد عواصم لملوك الطوائف المنشقين عن السلطة المركزية في قرطبة، وعلي الرغم من هذا ظلت قرطبة المركز الرئيسي للتعليم بنوعيه العلمي والأدبي في تلك الأوقات التي زاد فيها الشغف بالكتب (ريبيرا، ١٩٥٩، م٥، ص ٦) واندفع الكثير من المثقفين إلي اقتناء الكتب في إسبانيا الإسلامية ومن أشهرهم في كل مدينة:

قرطبة: كان من أصحاب المكتبات في قرطبة محمد بن يحيي الغافقي وكان يعرف بابن الموصل، ويقول عنه ابن الآبار: أنه كان جامعًا لدفاتر العلم من لدن صباه منتقيًا لكرائمها، بصيرًا بخيارها عارفًا لخطوطها، يحتكم إليه في ذلك مؤثرًا لها علي كل لذة حتي اجتمع منها عنده ما لم يجتمع لأحد بالأندلس بعد الحكم الخليفة، وكان عنده إصلاح المنطق لأبي علي القالي، والغريب المصنف أصل أبي علي، ونوادر ابن الأعرابي بخط أبي موسي الحامض، وتاريخ أبي جعفر الطبري، بصلة الفرغاني بخط ابن ملول الوشقي . بيع كل هذا في تركته حتي أُغلِيَ فيها حتي لقومت الورقة في بعضها بربع مثقال، وتوفي عام ٤٣٣ هـ /١٠٤١ م (ابن الآبار، ١٩٩٥،ج ١، ص ٣١٢) .

الحسن بن بكر بن غريب القيسي السماد كان وراقًا كتب علمًا كثيرًا وسمع الحديث إلي أن توفي عام ٤٣٥ هـ/ ١٠٤٤م (الذهبي، ٢٠٠٣، ج ٩، ص ٥٤٧).

ومنهم أيضًا جعفر بن محمد بن مكي ويكني أبا عبد الله كان عالمًا بالآداب واللغات، ذاكرًا لهما متفننًا لما قيده منها ضابطًا لجميعهما، عني بذلك العناية التامة، وجمع من ذلك كتبًا كثيرة، وتوفي عام ٥٣٥ هـ /١١٤٠ م ودفن بالربض (ابن سعيد، دت، ج ١، ص ١٠٨).

محمد بن أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان قلده الرئيس أبو الحزم ابن جهور قضاء قرطبة، وقال عنه ابن بشكوال: إنه كان من أهل العلم والحفظ والنباهة والفهم، وعُنِيَ بجمع العلم واقتناء الكتب الغريبة (الذهبي، ٢٠٠٣، ج ٩، ص ٥٥٠).

محمد بن أحمد بن عون بن محمد بن عون المعافري وقيل عنه أنه كان معتنيًا بالعلم مشهورًا بالمعرفة والفهم، كثير الكتب وجامعًا لها وباحثًا عنها (ابن بشكوال، ٢٠١٠ ، م ٢، ص ٢٠٦).

أشبيليه: ومن أشهرهم أبو عبيد الله البكري جمع كتبًا في نبوة نبينا عليه السلام، وأخذها الناس عنه بجانب غيره من تأليفه، وتوفي ٤٨٩ هـ /١٠٩٦ م (ابن الآبار، ١٩٨٥، ج ٢، ص ١٨٠). ابن حزم وهو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن غالب بن حزم، كان حافظًا عالمًا بعلوم الفقه والحديث، مستنبطًا الأحكام من الكتاب والسنة، كان زاهدًا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولوالده في الوزارة وتدبير الممالك، وكان له تأليف كثيرة في كل ما تحقق به من العلوم، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيء كثير. وألف في فقه والحديث كتبًا كثيرة نذكر منها: " الإيصال إلي فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام علي ما أوجبه القرآن والسنة والأجماع " وكتاب " الإحكام لأصول الأحكام " وكتاب " الفصل في الملل والأهواء والنحل " وكتاب " الإجماع ومسائله " وغيرها من المؤلفات (ابن الخطيب، ١٩٧٣ م، ج ٤، ص ١١١).

ألمرية: لم تكن ألمرية أقل من قرطبة في حب الكتب واقتنائها وأشهر من نال صيتًا في هذه الناحية زهير العامري وقد اجتمع في مكتبته ما يقارب من أربع مائة ألف مجلد. و كان جامعًا للدواوين العلمية معتنيًا بها مُغاليًا لها نافعًا بها من خصه لا يستخرج منها شيئا لفرط بخله بها إلا إلي سبيلها حتي لقد أثري كثير من الوراقين والتجار معه فيهما وجمع منها ما لم يكن عند ملك(بن الخطيب، ١٩٧٣، م١، ص ٥١٧). وأيضًا ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني وهو سيد بربري من قبيلة صنهاجة وسكن ألمرية، أهله من صحراء المغرب يكني أبا عمر، وكان يفضل جمع الكتب القيمة وتوفي في أشبيليه عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م (ابن الآبار، ١٩٩٥، ج ٢، ص ١٩٦) .

طليطلة: أما طليطلة فقد كانت مشهورة في العصور الوسطي كمركز للتعليم، يتردد عليه أعلام أوروبا لدراسة العلوم العربية، وقد ظهرت فيها بقايا متفرقة من مكتبة الحكم الثاني. وطليطلة هي المدينة التي عاش فيها بنو ذي النون الذين دفعهم حبهم للكتب إلي الاستيلاء عنوة علي مكتبات خاصة فنهبوا مكتبة العروشي، حيث أتيح للناس أن يشهدوا أمرًا عجيبًا عندما شبت النار في حي الفرائين ولم يهتم أحد أن ينقذ منها سوي حجرات بن ميمون جمّاع الكتب، حيث كان يحفظ مكتبته التي اشتهرت باحتوائها علي الكتب الصحيحة(ريبيرا، ١٩٥٩، م ١، ج ١، ص ١٤).

ونذكر أيضاً ابن الحنشي وهو هشام بن عمر بن محمد بن أصبغ الأموي رحل إلي المشرق حاجًا، ولقي بها جماعة من العلماء وجلب كتبًا كثيرًة جِسانًا، وكتب بخطه كثيرًا(ابن بشكوال، ٢٠١٠، م٢، ص ٢٩٣).

بطليوس: المظفر بن الأفطس وهو صاحب بطليوس وكان لديه مكتبة كبيرة اعتمد عليها الأمير في كتابه " المظفر " في خمسين مجلد تناول فيها الأدب والتاريخ (ابن الخطيب، ٢٠٠٣، ج ٢، ص ١٨١).

٥/٣ هجرة العلماء إلي الأندلس في القرن الخامس الهجري

كانت الهجرة إلي الأندلس قد ازدادت عن ذي قبل علي الرغم من الاضطرابات السياسية التي ضربت البلاد، فقد تدخلت عوامل جديدة عن العوامل التقليدية للهجرة، وفي مقدمة هذه العوامل الأحداث السياسية التي حدثت في أماكن أخري من العالم الإسلامي. فلقد هاجمت قبائل العرب الهلالية مدينة القيروان ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م، وقضت علي عمرانها في أيام المعز بن باديس من بني زيري الصنهاجيين، وتشتت القيروانيون فمنهم من لجأ إلي صقلية ومنهم من ذهب إلي الأندلس، ومن أشهر المهاجرين إلي الأندلس أبو الحسن الحصري، وابن شرف القيرواني. وفي عام ٤٦٤ هـ / ١٠٧٢ م هاجم النورمان جزيرة صقلية فلجأ أغلبهم إلي الإسكندرية وتوجه البقية الباقية إلي الأندلس ومن أشهر المهاجرين الشاعر ابن حمديس وأبو العرب. فنجد أن بعض المهاجرين قد لمعت أسماؤهم في الأندلس ، وكان أغلبهم من الشعراء والمهتمين بالأدب والنقد أكثر من اهتمامهم باللغة(مطلق، ١٩٦٥، ص ٢٢٣.) ، ولكن علي الرغم من هذا نجد منهم من أولي اللغة وتدريس المعاني اهتمامًا ملحوظًا ونذكر منهم:

إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي يكني أبا طاهر، وأخذ عن أبي إسحق الحصري تواليفه وسمع من أبي القاسم سعيد بن أبي مخلد الأزدي العثماني، وأبي القاسم عمار بن محمد الإسكندراني، وأبي الحسن علي بن حبيش الشيباني الأديب، وروي عن أبي يعقوب النجيرمي أدب الكتاب لابن قتيبة، و كان عالمًا بالآداب مستبحرًا شاعرًا مجودًا من أهل التأليف والتصنيف مع جودة الضبط وبراعة الخط. دخل إلي الأندلس عام ٤٠٠ هـ /١٠٠٩ م، ثم سار إلي مصر عام ٤١٥ هـ /١٠٢٤ م وذكر في كتابه " الرائق بأزهار الحدائق " أنه كان بمالقة في عام ٤٠٦ هـ /١٠١٥ م (ابن الآبار، ١٩٩٥، ج ١، ص ١٥٩).

ولعل من أبعد المهاجرين أثرًا في الأندلس، ولقد سبق أن ذكرناه وهو ثابت بن محمد الجرجاني، ويكني أبا الفتوح(الصفدي، ٢٠٠٠، ج ١٠، ص ٢٨٩) ، قدم إلي الأندلس ٤٠٦ هـ /١٠١٥ م ، وكان مع الموفق أبي الجيش مجاهد العامري في غزوته علي سردانية، ثم جال في أقطار الأندلس، وكان إمامًا في اللغة العربية متمكنًا في علم الأدب، ودرس علي يد مشاهير الشيوخ المشارقة كابن جني وابن السيرافي والربعي مشاركًا في عدة علوم أبرزها بعد اللغة الفلسفة والمنطق كما كان حاذقًا في حمل السلاح وأنواع الفروسية والجندية، وأملي بالأندلس في شرح كتاب " الجمل " للزجاجي، وقال عنه ابن زيدون: لقيته بغرناطة فأخذت عنه أخبار المشارقة وحكايات كثيرة، وكان غزير الأدب قوي الحفظ للغة نازعًا إلي علم الأوائل من المنطق والنجوم والحكمة له بذلك قوي ظاهرة. وتوفي عام ٤٣١ هـ /١٠٣٩ م علي يد باديس بن حبوس أمير صنهاجة (إبراهيم سلامة، ٢٠١٥، ص ٢٣٧ . ٢٨٣.)

عثمان بن أبي بكر الصدفي السفاقسي رحل إلي العراق وغيرها في ٤٢٠ هـ /١٠٢٩ م وعرف كثيرًا من أخبار البلاد التي دخلها ومن فيها من أهل الرواية والعلم وسمع الكثير وكتب. دخل الأندلس عام ٤٣٦ هـ /١٠٤٤ م ، وفي هذا التاريخ نفسه دخل قرطبة وأسمع الناس بها، ثم تجول لمدة عامين في الأندلس ثم عاد إلي قرطبة مرة أخري، كان حافظًا للحديث وطرقه، وأسماء رجالاته ورواته منسوبًا إلي معرفته وفهمه، وكان يملي الحديث من حفظه، كان عارفًا للغة والأعراب، ذاكرًا للغريب والآداب، مما عني بالرواية، وشهر بالفهم والدراية، وذكره أبو عمر ابن الحذاء في كتابة رجاله الذين لقيهم فقال: قدم علينا طليطلة وسنه يومئذ نحو الخمسين، وكانت له رواية واسعة ومعه كتب كثيرة من روايته بالعراق والشام والحجاز ومصر. وتوفي عام ٤٤٠ هـ /١٠٤٨ م (الضبي، ١٩٦٧، ص ٤١٠).

محمد بن الحسن الحضرمي المرادي يكني أبا بكر، قدم إلي الأندلس وأخذ عنه أهلها، وكان رجلًا نبيهًا عالمًا بالفقه، وإمامًا في أصول الدين، وله في ذلك تواليف حِسان مفيدة، وكان ذا حظ وافر من البلاغة والفصاحة (الذهبي، ٢٠٠٣، ج ١٠، ص ٦٣٦). محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان، أبو الفضل التميمي البغدادي وهو من أهل بيت علم وأدب، خرج أبو الفضل إلي القيروان في أيام المعز بن باديس فدعاه إلي دعوة بني العباس فاستجاب له، ثم وقعت الفتن واستولي العرب علي البلاد، فخرج منها إلي الأندلس فلقي ملوكها وحظي عندهم بعلمه وأدبه، واستقر بطليطلة وتوفي عام ٤٥٤ هـ /١٠٦٢ م (الضبي، ١٩٦٧، ص ١٠٨).

علي بن إبراهيم بن علي التبريزي المعروف بابن الخازن ويكني بأبي الحسن، دخل الأندلس عام ٤٢١ هـ /١٠٣٠ م، وأسمع الناس بشرق الأندلس بعضًا ما رواه، وقدم إلي طليطلة عام ٤٢٢ هـ /١٠٣١ م فسمع بها تفسير القرآن الموسوم " بشفاء الصدور "، كان من أهل العلم بالآداب واللغات، حسن الحظ، جيد الضبط، عالمًا بفنون العربية، ثقة فيما رواه، كان عنده غرائب وفوائد جمة، كان شافعي المذهب، سمع منه جماعة من علماء الأندلس (ابن بشكوال، ٢٠١٠، م٢،ص ٤٥) .

عبد الدائم بن مروان بن جبر اللغوي المقرئ يكني أبا القاسم ونزل بألمرية، روي كثيرًا من كتب الآداب واللغات، وحدث عن أبي الحسين محمد بن الحسين، لقيه بالبصرة عام ٤٢٦ هـ /١٠٣٥م، وعن هلال بن المحسن وغيرهما، وسمع بالأندلس من ابي عمر بن عبد البر وغيره (ابن بشكوال، ٢٠١٠، م ١، ص ٤٩٢).

أصبحت الأندلس أيضاً مطمحًا للدارسين من أقطار أخري، فنجد بعض المهاجرين إلي الأندلس يتتلمذون علي يد علماء اللغة الأندلسيين ونذكر منهم العز بن محمد بن بقنة ويكني أبا تميم وأصله من العدوة، وأخذ في قرطبة عن أبا القاسم ابن الأفليلي كثيرا من كتب اللغة والآداب، واخذ الناس عنه (ابن ناصر الدين الدمشقي، ١٩٩٣ م ، ج ٢، ص ٦٠). وأيضًا المبارك بن سعيد بن محمد بن الحسن الأسدي البغدادي يعرف بابن الخشاب ويكني بأبي الحسن، ولقد قدم إلي الأندلس من بغداد تاجرًا ، ولقد سمع في قرطبة من أبي مروان إبن السراج كتاب " النوادر " لأبي علي البغدادي، وسمع في ألمرية من أبي إسحق ابن وردون كتاب " أحكام القرآن " للقاضي إسماعيل. وتوفي في بغداد عام ٤٩٠ هـ /١٠٩٧ م (الذهبي، ٢٠٠٣، ج ١١، ص ٥٩).

أما الهجرة من الأندلس إلي المشرق، فإن اللغوين– الذين جاءت أخبارهم في المصادر– قلما ما كان يأتي بهم خبر عن الرحلة، وذلك يدل علي الاكتفاء الذاتي في علم اللغة وسهولة الوصول إلي الكتب بدلًا من الرحلة ولقاء العلماء(مطلق، ١٩٦٥، ص ٢٢٨.) ونذكر من أصحاب الرحلة إلي المشرق الجبيري وهو خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير، كانت له رحلة إلي المشرق، و كان من أهل العلم والنزاهة (المقري، ١٩٦٨، م ٢، ص ٥١١) .

٦/٣ دور المؤدب في القرن الخامس الهجري

لقد رأينا كيف تعددت المراكز العلمية في الأندلس كلها في عواصم ممالك الطوائف، وظهر بوضوح المدرس المتجول ومنهم إبراهيم بن أبي الفضل بن صواب الحجري وهو من أهل شاطبة، روي عن أبيه وعن أبي عمر بن عبد البر وأبي الحسن بن سيدة، وكان من أهل المعرفة باللغة و الآداب و تجول في البلاد معلمًا بها، وتوفي عام ٥٠٦ هـ /١١١٢م في مكناسة الزيتون (السيوطي، ١٩٦٥، ج ١، ص ٤٢٢) .

من أشهر المؤدبين في هذا القرن وتَخَرَّجَ من تحت أيديهم كثير من الطلاب ونذكر منهم الأفليلي: والذى كان له حلقة علم تجمع الكثير من الطلبة حتى حدثت الفتنة البربرية التي قضت على مجالس العلم(مطلق، ١٩٦٥،ص ٢٣١). وابن سراج: والذى تم ذكره في المصادر كواحد من أشهر المؤدبين وذلك لقول ابن بسام وكل ما نعرفه من جهوده هو التدريس (ابن بسام، ١٩٩٧، ص ٧٩٣). والأعلم الشنتمري : و قال عنه ابن بشكوال أخذ الناس عنه كثيرًا (ابن بشكوال، ٢٠١٠١، ص ٣٣٠).

٧/٣ التأليف اللغوى في القرن الخامس الهجرى

يعتبر هذا القرن من أكثر الأوقات التي حدث فيها نشاط واسع في مجال التأليف اللغوي ولقد سبق أن ذكرتها في ترجمة كل عالم لغة، ولكني سوف أذكرها تحديداً ؛ حتي يتسنى للقارئ أن يعرف مدي غني وتنوع هذه المصنفات اللغوية. فنجد مثلًا أن علي بن إسماعيل المشهور بابن سيدة له كتب: "المحكم في اللغة، والمخصص، و الأنيق في شرح الحماسة". وابن اللجالش له اختصار في كتاب أبي جعفر الطبري في تفسير القرآن. وابن التياني تمام بن غالب بن عمر النحوي له كتاب جامع في اللغة العربية أسماه "تلقيح الأعين". وابن الأفليلي له كتاب "شرح ديوان المتنبي". والحسن بن محمد بن عليم البطليوسي له كتاب "شرح كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة ". والحسن بن علي بن محمد الطائي المرسي له كتاب "المقنع في شرح كتاب ابن جني". وسعيد بن عيسي الأصفر له "شرح كتاب الجمل للزجاجي". وأحمد بن محمد بن أحمد أبا العباس له "شرح في الغريب المصنف لأبي عبيد"، و"إصلاح المنطق ليعقوب"، وإليه نُسب "شرح أدب الكتاب" أبو عبد الله بن خلصة النحوي في رسالته التي ناقض فيها أبا محمد بن السيد البطليوسي وبكته وذكر أنه أغار عليه وانتحله وهو الذي سماه بالاقتضاب. أبا الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني وله شرح كتاب الجمل للزجاجي. وإسحق بن الحسن المعروف بالزيات له شرح في كتاب الجمل للزجاجي، وكتاب في المعرب والمبني (ابن الآبار، ١٩٩٥، ج ١، ص ١٦١).

خلف بن فتح بن جودي القيسي ويعرف بابن أبي الموتى، له كتاب الناهج في شرح ما أشكل من الجمل للزجاجي.(ابن الآبار، ١٩٩٥، ج ١، ص ٢٤٢) يوسف بن سليمان بن عيسي النحوي الأعلم له كتب منها (النكت في كتاب سيبويه – عيون الزهد في شرح أبيات سيبويه – المخترع في النحو – المسألة الرشيد – جزء فيه الفرق بين المسهب والمسهب والمسألة الزنبورية – وجزء فيه مختصر الأنواء(ابن خير ، ١٩٩٨، ص ٢٨١) – كتاب شرح أشعار الحماسة(ابن خير ، ١٩٩٨، ص ٣٤٧) – جزء في معرفة الأنواء(ابن خير ، ١٩٩٨، ص ٣٧٧)).

أبو بكر عاصم بن أيوب البلوي(ابن بشكوال، ٢٠١٠، م ٢، ص ٧١) له كتاب "شرح أشعار الحماسة والأشعار الست الجاهلية" (ابن خير، ١٩٩٨، ص ٣٤٧). وأبي عبيد الله البكري له كتب (الآلي في شرح الأمالي – التنبيه علي أوهام أبي علي البغدادي(ابن خير، ١٩٩٨، ص ٢٩٣) – صلة المفصول في شرح أبيات الغريب المصنف(ابن خير، ١٩٩٨، ص ٣٠٧) – فصل المقال في شرح كتاب الأمثال(ابن خير، ١٩٩٨، ص ٣٠٨) – النبات (ابن خير، ١٩٩٨، ص ٣٣٦).

لا شك أن التدرج في تعلم اللغة العربية وزيادة الإسهامات الثقافية علي المستوي اللغوي خاصة وعلي المستوي العلمي والثقافي عامة منذ القرن الثالث حتي القرن الخامس الهجري، لهو دليل قاطع علي مدي التأثير العربي الإسلامي علي مختلف فئات المجتمع الأندلسي. فلقد امتازت اللغة العربية بالانفتاح علي كل عطاء تاريخي تسني له الاتصال به، فكان نضج اللغة العربية واستقرارها أساس لاستيعابها لكل عطاء فكري وحضاري، وهو ما جعلها وبحق لغة الاتصال العلمي في العصور الوسطي ولقد فاقت اللغة اللاتينية في هذا الشأن بمراحل كبيرة(الأوسي، دت، ص ١٥).

ولا يجهل أحد حسرات القس ألبارو القرطبي التي تتحدث عن ولع الإسبان بالأدب العربي؛ فهو يقول: " إن إخواني في الدين يجدون لذة كبري في قراءة شعر العرب وحكاياتهم، ويُقبلون علي دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين، لا ليردوا عليها وينقضوها، وإنما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوبًا عربيًا جميلًا صحيحًا، وأين تجد الآن واحدًا – من غير رجال الدين – يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت علي الأناجيل المقدسة ؟ ومَن – سوي رجال الدين – يعكف علي دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والرسل ؟ يا للحسرة ! إن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم. وهم ينفقون أموالًا طائلة في جمع كتبها، ويصرحون في كل مكان أن هذه الآداب حقيقة بالأعجاب .فإذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك في ازدراء أنها غير جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم. يا للألم ! لقد أنسي النصارى حتي لغتهم، فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحدًا يستطيع أن يكتب إلي صاحب له كتابًا سليمًا من الخطأ. فأما عن الكتابة في لغة العرب فأنك واجد فيهم عددًا عظيمًا يجيدونها في أسلوب منمق، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنًا وجمالًا "(بالنثيا، د ت ، ص ٤٨٥ – ٤٨٦)

٨/٣ التأثير والتأثر الناتج عن التعريب

ولقد بلغ التأثر الأندلسي من العرب مبلغه في حياتهم اليومية والاجتماعية واستعمال اللغة والأسماء والملابس العربية وأخذوا الطابع الإسلامي في كل مناحي حياتهم، فكان هذا الأثر ضروري للمعايشة بين الجانبين. فنجد أن معظم المدن بقيت بأسمائها اللاتينية القديمة دون أن تُمس، مثال علي ذلك كردوبا أصبحت قرطبة، هسبالي أصبحت أشبيليه، و قيصر أغسطس **Cesar Augusti** أصبحت سرقسطة، وفالنسيا أصبحت بلنسية، أو اتخذت في غير ذلك صيغة التصغير ومثال ذلك أن توليتوم **Toletum** أصبحت طليطلة، وقد كانت أسماء الأماكن التي لها أهمية تاريخية توريات في الأصل، ومثال ذلك أن أوسيلي (**Ocili**) أصبحت مدينة سالم **Medinacelli** التي تسببت في الوجود الأسطوري لمؤسس موهوم يدعي سالمًا.

أما المدن التي أطلقت عليها أسماء عربية وصفية فكانت هي الاستثناء من القاعدة، مثل الجزيرة الخضراء (**Algeciras**) كما جملت بعض الأماكن أسماء القبيلة العربية أو البربرية التي سكنتها بعد الفتح مثل بلي (**Poley**) وغافق شمال قرطبة، ومكناسة (**Mequinenza**) في أراغون، وثمة عدة أماكن في شرقي الأندلس اتخذت أسماء عربية وهذا يدل علي عمق ما لحقها من تأثير عربي مثل منزل عّطاء (**Mislata**)، ومنزل نصر (**Masanasa**) في ضواحي بلنسية (كولان، ١٩٨٠ م، ص ٨٠ – ٨١).

يقول بعض المستشرقين: (جوزيف شاخت ، ١٩٧٨ م، ج ١ ، ص ١٠٩ – ١١١) " لقد ترك الوجود العربي في شبه الجزيرة طابعه علي اللغة بعمق، وخصوصًا من حيث المفردات، بحيث أنه لا يزال حتي اليوم أوضح أثر تركته هذه القرون السبعة، وهذا الأثر يتناول مختلف نواحي الحياه من الزراعة إلي الفنون والحرف، ومن التجارة إلي الإدارة، ومن الحرب إلي العلم ، ففي مجالات الدين والإدارة والحرف نجد كلمات مثل: المسجد **Mesavita**، أمير الماء **Almirante**، القاضي (عمدة المدينة) **Alcalde**، الوزير **Alquacil**، المشرف **Almojarife**، المحتسب **Almotaciem**، صاحب المدينة **Falmedina**، الفقيه **Alfaqui**، الحكيم **Alfaquin**، الحاجب **Alhagib**، صاحب السوق **Fabasouqae alatat**، القوادة **Alcahuete** إلخ.

ومن الأمثلة علي الكلمات الحربية التي شاعت كثيرًا بالنظر لحالة الحرب المتوطنة مع النصاري نجد: الصائفة **Aceifa**، الغارة **Algardda**، الدليل **Aldalil**، الرئيس **Arraez**، القائد **Alcaide**، الرهن **Rehem**، الطلائع **Atalaya** ، العرض **Alarde**، الرباط **Rabate**، القصر **Alcazar**، القصبة **Alcazaba**، النفير **Anafir**، الرياز **Arriaz**، الفارس **Alfaraz** فارس (وأصلها من زناتة) **Winete**، المنفر **Almofire**، الدرقة **Aldarga**، وكذلك نجد كثيرًا من غير هذه الكلمات بعضها قديم وبطل استعماله، والبعض الآخر متداول جدًا حتي الآن.

وفي المفردات التجارية هناك: الديوان (الجمرك) **Aduana**، المخزن **Almacen**، تعرفة **Tarifa**، السوق **Foco**، المناداة (المزايدة) **Alnomeda**، التجارة **Atijara**.

وفي مجال الأوزان والمقاييس والعملات نجد: الربعة **Arroba**، القفيز **Cahiz**، الفنيقة (الكيس الواسع) **Fanega**، المد **Alnud**، الدرهم **Adarme**، الرطل **Arrelde**، السكة **Ceca**، مرابطي **Maravedi**، مثقال **Melacal**، وغيرها.

وكذلك هناك العديد من الكلمات التي تدل علي أسماء المعادن والمنتجات ذات الأصل العربي، مثل: الزئبق **Azoque**، البياض **Albaualde**، العاج (ناب الفيل وأصلها العربي أم الفيل) **Marfil**، الكافور **Alcanfor**، الكحول **Alcohol**، النحاس **Annofaz**، الغالية **Algalia**، المسك **Almizole**، الأثمد **Aceche**.

وهناك أسماء الألبسة والمواد ذات المنشأ الشرقي مثل: الجبة **Aljuba**، البرنس **Albornoz**، السراويل **Zaraquelles**، القناع **Alqunial**، الناعورة **Noria**، السد **Azud**،(جوزيف شاخت ، ١٩٧٨ م، ج ١ ، ص ١٠٩) القادوس **Arcadus**، الجب **Aljibe**، البركة **Alberca** ، السانية (طاحونة علي الماء) **Acena**، طاحونة **Tahona**، المعصرة (الزيت) **Almazara**، المنية (البيت حوله حديقة) **Almunia**، وهي شائعة جزئياً في صقلية، وتعتبر شهادة حية علي المستوي الفني الرفيع الذي وصل إليه العرب وعلي الأهمية الكبيرة للزراعة في الاقتصاد والحياة الاجتماعية في تلك البلاد.

وكذلك يوجد في الإسبانية الكثير من أسماء النباتات والثمار والخضروات التي تعود إلي أصل عربي مثل: الخرشوف **Alcachofa**، الرز **Azzoz**، نارنج (برتقال) **Naranja**، ليمون **Limon**، الزعفران **Azafran**، السكر **Azucar**، الزيت **Aciete**، طرنجة **Toronja**، باذنجان **Berenjena**، البرقوق **Albericoque**، الريحان **Arrayan**، السوسنة **Azucona**، الخزامي **Alhuzema**، الزلفاء (شجيرة زهر) **Adelfa**، وكثير غيرها.

وبين أسماء الحيوانات نجد: الذيب **Adive**، الصقر (القطامي) **Alcotan**، الحر (نوع من الطيور) **Alforre**، العقرب **Alacran**.

ومن الكلمات البيتية نجد: جرة **Jarra**، طاسة **Taza**، الكوز **Alcuza**، الكلة **Alcolla**، السجادة (وأصلها الخمرة) **Alfomra**، اللفاف **Alifafe**، المدرج **Almadrague**، السوط **Azote**، الحاجة (الجوهرة) **Alhaja**... إلخ.

ونجد أن الكلمات المتعلقة بالبيئة وفن العمارة كثيرة جدًا: الضيعة **Aleda** ، الربض **Arrobal**، البري (حي من البلد) **Barrio**، البناء **Albanil**، العريف **Alarife**، الحوز **Alhoz**، السطحية **Azotea**، القبة (غرفة النوم) **Alcoba**، الأسطوان (مدخل البيت) **Faguam**، الزليج **Azuleja** (وهو القاشاني لتزيين الجدران)، الطوبة **Adoba** ، وكثير من الكلمات المشابهة.

كذلك نجد الكلمات الدالة علي الألعاب الشطرنج **Aljedrez**، والأدوات الموسيقية (العود **Laud**، الطبل **Atabol**، الدف **Aldufe**) والتي تعطينا لمحة عن طبيعة حياة البلاد المرحة (جوزيف شاخت ، ١٩٧٨ م، ج ١ ، ص ١١٠).

الخاتمة

بعد الانتهاء من البحث تم التوصل الى عدد من النتائج منها :

- اللغة اللاتينية كانت هي اللغة الرسمية قبل الفتح الاسلامي ، في حين ان اللغة الرومانسية كانت اللغة التي يتحدث بها العامة.

- عناصر السكان في الأندلس بعد الفتح الإسلامي، كانت تتكون من عرب ، بربر، سكان أصليون ، يهود، صقالبة والذى يعود الفضل الى عبد الرحمن الداخل الذى أدخلهم قصر الأمارة .
- بعد دخول المسلمين الى شبه جزيرة أيبريه ، استطاع العرب ان ينشروا ثقافتهم ولغتهم وسط السكان الأصليون الذين لو يكونوا على قدر عال من العلم فأصبحت مهمة المسلمين سهلة من حيث التأثير عليهم خاصة جعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الأندلس.
- كتب العلم التي دخلت من المشرق الى الأندلس أحد اسباب الثورة المعرفية التي حدثت في الأندلس ، بالإضافة الى علماء المشرق الذين ساهموا في النهضة اللغوية الأندلسية ، وهذا حدث اما عن طريق هجرتهم الى الأندلس ، او عبر طلبة العلم الأندلسيون الذين أخذوا تتلمذوا على يديهم .
- مراحل الصراع بين اللغة اللاتينية والعربية تمثلت في ثلاث مراحل، أولا مرحلة الصراع، يليها مرحلة التفوق، انتهاء بمرحلة الغلبة.
- عناية الأندلسيين بالكتب وانشاء المكتبات كانت من أسباب النهضة اللغوية في الأندلس خاصة في عهد الخليفة المستنصر الذى كان مهتما ان يقتنى كل ما هو جديد من الكتب في العلوم المختلفة ، مع خلق جو ثقافي ازدهرت فيه العلوم اللغوية.
- بعد انتشار اللغة العربية في ربوع الأندلس ، أصبح الأندلس ذو نتاج أدبى ولغوي يواز الإنتاج الأدبي لبغداد في أزهي عصورها.
- التأثير اللغوي العربي ممتد حتى يومنا هذا في الثقافة الإسبانية، والذى نراه متمثلا في بعض الكلمات التي لها أصول عربية.

الخريطة

(مؤنس، ١٩٨٧، ص ١٧٢)

المصادر

١. ابن الآبار (محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي) ، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط ٢، دار المعارف، عام ١٩٨٥.

- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ /١٩٩٥ م.

- إعتاب الكتاب، مطبوعات مجمع اللغة العربية . دمشق، تحقيق: صالح الآشتر ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م

٢. ابن الخطيب (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد) ،أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط ١، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط ٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.

٣. ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر) ، تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م

٤. ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر) ، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط٢ ، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ١٤١٠ هـ –١٩٨٩ م.

٥. ابن بسام الشنتريني (أبي الحسن علي) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

٦. ابن بشكوال (أبي القاسم خلف بن عبد الملك) ،الصلة، تحقيق بشار عواد معروف، ط ١، دار الغرب الإسلامي تونس ، ٢٠١٠ م.

٧. ابن حزم (أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد) ،جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار معارف مصر، د ت.

- الإحكام في فصول الأحكام، تحقيق: إحسان عباس، دار الأفق الجديدة بيروت ، ١٩٧٩م

٨. ابن حوقل (أبي القاسم النصيبي) ، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة بيروت . لبنان، ١٩٩٢ م

٩. ابن حيان (أبا مروان حيان بن خلف)، المقتبس، اعتنى بنشره ب.شالميتا، بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف. كورنيطي و م.صبح وغيرهما، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٩٧٩م.

١٠. ابن خاقان (أبي النصر الفتح بن محمد بن بن عبيد الله)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط ١، دار عمار – مؤسسة الرساله، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م

١١. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ، مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمي العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط: خليل شحادة / مراجعة: سهيل ذكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

١٢. ابن خير الأشبيلي، فهرسة ابن خير، تحقيق: بشار عواد معروف / محمود بشار عواد، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م

١٣. ابن دحية (أبي الخطاب بن حسن) ، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري . حامد عبد الحميد . أحمد أحمد بدوي، دار العلم للجميع للطباعة والنشر . بيروت، ١٩٥٤ م .

١٤. ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسي بن محمد) ، المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط ٤، دار المعارف، د ت.

١٥. ابن صاعد الأندلسي (أبي القاسم صاعد أحمد بن صاعد)، طبقات الأمم، نشره وذيله بالحواشي: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين / بيروت ١٩١٢.

١٦. ابن عذاري المراكشي (عبد الله بن محمد) ،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج . س كولان . ليفي بروفنسال، ط ٢، دار الثقافة ميريت – لبنان، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

١٧. ابن غالب الأندلسي (الحافظ ابن أيوب) ،فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م

١٨. ابن فرحون المالكي (إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، د ت

١٩. ابن ماكولا (الأمير الحافظ)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكني والأنساب، تصحيح وتعليق: نايف العباس، دار الكتاب الإسلامي، د ت

٢٠. ابن ناصر الدين الدمشقي (شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواه وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م

٢١. ابن يونس الصدفي (أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى)، تاريخ بن يونس الصدفي، تحقيق عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، ط ١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م

٢٢. الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٢ م – ١٤٢٢ هـ.

٢٣. الثعالبي النيسابوري (أبو منصور عبد الملك)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م

٢٤. الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله) ،جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق: بشار عواد معروف . محمد بشار عواد، ط ١، دار الغرب الإسلامي تونس، ١٤٢٩ هـ –٢٠٠٨ م

٢٥. الحميري (محمد عبد المنعم) ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط ٢ ، مكتبة لبنان، ١٩٨٤ م.

٢٦. الخشني (محمد بن حارث) ، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: ماريا لويسا آبيلا . لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي مدريد ١٩٩١م

- قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب المصري –دار الكتاب اللبناني ١٤٠١ هـ / ١٩٨١.

٢٧. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

٢٨. الزبيدي (أبي بكر محمد بن الحسن) ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢ ، دار المعارف . القاهرة، ١٩٨٤ م

٢٩. السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، مطبعة عيسي البابلي الحلبي وشركاه ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م

٣٠. الصفدي (صلاح الدين خليل بن أبيك)، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي بيروت . لبنان، ط ١ ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م

٣١. الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي ١٩٦٧.

٣٢. القاضي عياض (بن موسي بن عياض السبتي)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطبخي، ط ٢، المملكة المغربية – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٣٣. القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف)، انباه الرواة علي انباه النحاه، ط ١، دار الفكر العربي القاهرة – مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ١٩٨٦

٣٤. مجهول ، أخبار المجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، ط٢، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م.

٣٥. المراكشي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري) ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، ط ١، دار الثقافة بيروت، ١٩٧٣.

٣٦. المسعودي (علي بن الحسين بن علي) ،مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه: كمال حسن مرعي، ط ١، المكتبة العصرية صيدا – بيروت،١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥

٣٧. المقدسي (البشاري) ،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢، مطبعة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ١٩٠٩.

٣٨. المقري التلمساني (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي العيش) ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

٣٩. مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٧ م

٤٠. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله) ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م ،معجم البلدان، دار صادر بيروت، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م /معجم الأدباء إرشاد الأريب إلي معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣ م

المراجع

١. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، العلامة أبو الفتوح الجرجاني البغدادي العدوي الأندلسي نموذجاً للتواصل الثقافي والترابط الفكري بين أبناء الأمة الإسلامية مشرقاً ومغرباً ضمن كتاب: ملامح من تاريخ بلاد الأندلس وحضارتها منذ الفتح الإسلامي حتي نهاية عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية ٢٠١٥

٣. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط ٢، دار الثقافة بيروت –لبنان، ١٩٦٩ م

٤. أحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال، دراسات في تاريخ الأندلس دويلات الصقالبة العامريين في شرق الأندلس عصر دويلات الطوائف، مركز الإسكندرية للكتاب ٢٠٠٧ م

٥. ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتي نهاية عهد ملوك الطوائف، رسالة قدمت لنيل درجة أستاذ في الآداب الي دائرة اللغة العربية الجامعة الأمريكية بيروت، أيار ١٩٦٥.

٦. ج. س كولان، الأندلس، ترجمة: إبراهيم خورشيد ـ عبد الحميد يونس ـ حسن عثمان، ط ١، دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب المصري، ١٩٨٠ م،

٧. جوزيف شاخت ـ كليفورد بوزورث، تراث الإسلام، ترجمة: محمد زهير السمهوري ـ حسين مؤنس ـ إحسان صدقي العمد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ١٩٧٨ م

٨. حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطباعه والنشر والتوزيع (القاهرة) ١٩٩٨ م

٩. حسين مؤنس ، فجر الأندلس، العصر الحديث للنشر والتوزيع دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ .

– أطلس تاريخ المسلمين، الزهراء للإعلام العربي ، ط ١ ، ١٩٨٧.

١٠. حكمت الأوسي ، التأثير العربي في الثقافة الإسبانية، الموسوعة الصغيرة (١٥٢) دائرة الشئون الثقافية والنشر بغداد، د ت

١١. خليل إبراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط ١، دار الكتاب الجديد، يناير ٢٠٠٠

١٢. السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الاندلس من الفتح العربي حتي سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف لبنان، ١٩٦٩ م.

١٣. الطاهر أحمد مكي، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، مكتبة وهبه، ط ٢، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م

١٤. عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، ط١، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤.

١٥. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط ٩، نهضة مصر للطباعة والتوزيع ، ٢٠٠٤

١٦. ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، ط ٣، دار المعارف . القاهرة، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

١٧. محمد حقي، البربر في الأندلس، شركة النشر والتوزيع الدار البيضاء، ط ١ ، ٢٠٠١.

١٨. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول –القسم الأول من الفتح إلي بداية عصر الناصر، ط ٤ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٧– ١٩٩٧.

الرسائل

١. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، الأندلس بين سقوط الدولة العامرية ونهاية الخلافة الأموية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ١٩٩٣ م.

٢. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، العامة في الأندلس في عصر الدولة الأموية، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الإسكندرية ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

دوريات

١. خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٩٥٩

مراجع أجنبية

1. **Aguado p Bleye ,Manual de la Histoira de Espana , Madrid , 1947**